

المركز القومى للترجمة
عالم الطفل

المشروع القومى للترجمة

ليندا فون كيزر لينك

العالم من خلال قلوبهم

أجمل القصص والحكايات لقلوب الأطفال وأرواحهم

ترجمة
أشرف نادى أحمد

1547

كيف يستطيع المرء أن يدخل فى حوار مع الأطفال؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تعجز الكثيرين من الآباء والأمهات والمربين. لهذا فإن حكايات السيدة ليندا فون كيزر لينك ذات الحس العالى، تساعدكم على كسب صداقة ومودة الأطفال وثقتهم. هذه الحكايات يمكن للمرء أن يقرأها للأطفال أو أن يقرأها الأطفال بأنفسهم؛ حيث يجد الطفل فيها مشاعره ومخاوفه وهمومه، كما يشعر الطفل أنه ليس وحده الذى تنتابه هذه المشاعر والمخاوف، بل هناك من يشاركه تلك المشاعر أيضًا. تلك الحكايات تهبه العزاء والشجاعة كما تضحكه وتجعله يتعجب من كثير من المواقف أيضًا.



العالم من خلال قلوبهم

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور
سلسلة عالم الطفل
المشرف على السلسلة: يعقوب الشارونى

- العدد: 1547
- العالم من خلال قلوبهم
- ليندا فون كيزر لينك
- أشرف نادى أحمد
- الطبعة الأولى 2010

هذه هى الترجمة الكاملة لكتاب:

Linde Von Keyserlingk
Die Welt, mit dem Herzen gesehen
Die Schönsten Geschichten
für die Kinderseele Band2

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House، El Gezira، Cairo

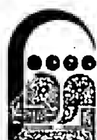
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

العالم من خلال قلوبهم

أجمل القصص والحكايات لقلوب الأطفال وأرواحهم

تـأليـف : ليندا فون كيـزر لينـك

تـرجمـة: أشـرف نـادى أحمـد



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

لينك، ليندا فون كيزر.
العالم من خلال قلوبهم: أجمل القصص والحكايات لقلوب الأطفال وأرواحهم/ تأليف: ليندا فون كيزر لينك؛
ترجمة: أشرف نادى أحمد.
ط ١ - القاهرة - المركز القومى للترجمة، ٢٠١٠
١٩٢ ص، ٢٠ سم
١ - القصص الألمانية.
٢ - قصص الأطفال.
(أ) أحمد، أشرف نادى (مترجم)
(ب) العنوان ٨٣٣

رقم الإيداع ٤٢٩٩ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى: I.S.B.N 978- 977- 479 - 896- 3

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

١- لماذا يشرق القمر بالنهار أحيانًا؟

الكثير منا لا يعلم أن الشمس والقمر توأمان، حيث إنهما خلقا فى نفس اليوم والساعة. وبمجرد ولادتهما راحا يعدوان ويمرحان، وكبداية كل شيء كانا فى البداية صغيرين، لا يدركان ما ينتظرهما من مسئولية، ولم يكن لديهما إدراك لمعنى النظام، حيث كانت الخليقة فى بدايتها.

ومثل بقية الأخوات، كبرت الشمس ومعها القمر، وراحا يتشاجران فيما بينهما على أشياء كثيرة، مثل ما الأكثر جمالاً؟ ما الأكبر؟ ما الأكثر قوةً وتأثيرًا؟ ما المحبوب أكثر؟ وراح الخالق يحذرهما مرة تلو الأخرى بعدم العراك والشجار مع بعضهما البعض، ولكن دون جدوى.

وذات مرة، حدث عراك كبير بين الشمس والقمر، وذلك عندما سخرت الشمس من القمر وخدشت وجهه، محدثة به بعض الخدوش والجراح. ثار القمر وأخرج سيفه الفضى غاضبًا، وضرب أخته الشمس، وأحدث فى تاجها إشعاعات مدببة، والتى نطلق عليها - نحن البشر - أشعة الشمس. واغتاظت الشمس وهاجت وراحت تلقى بحمم النيران فى كل اتجاه، فى تلك اللحظة من الشجار، كانت الأرض تتنزه

وتتريض، فسقطت عليها حمم النيران هذه، وأحدثت بها مساحات واسعة من الحرائق، هذه المساحات نطلق عليها نحن الصحارى.

عندئذٍ نادى الخالق قائلا: كفاكما شجارًا وصراعا، من الآن فصاعدًا لن تبقيا معا، ولا بد أن أفصل بينكما. أنت يا قمر من الآن فصاعدًا عليك أن تشرق وتعيش فقط فى مملكة الليل، وأنت أيتها الشمس، عليك أن تعيشى وتشرقى فقط فى مملكة النهار. ومنذ هذه اللحظة افترق الأخوان، كل منهما ذهب إلى مملكته. عند ذلك تعلمت الشمس اتجاهات السماء، وكان عليها أن تشرق فى الصباح من الجهة الشرقية من السماء، وأن تغيب فى الجهة الغربية من السماء. كما تعلمت الشمس فصول السنة: صيف وشتاء وخريف وربيع. وكان عليها أن تتعلم أن تشرق أكثر، وتبعث حرارة أكثر فى الصيف، وأن تكون أقل إشراقًا وحرارة فى الشتاء.

فى البداية، كانت هذه الواجبات صعبة على الشمس، فلم تتعلمها بسهولة فى بداية الأمر، حيث إنها أرسلت ثلوجًا وبرودة فى أوقات غير مناسبة، مما جعل الخالق يعلّمها من جديد، ويصر على ألا تفعل هذا مرة أخرى، وأن الصيف يأتى دائمًا بعد الربيع، وأن الشتاء يأتى دائمًا بعد الخريف، ثم الصيف مرة أخرى وهكذا، وإن لم تقم الشمس بواجباتها هذه كما ينبغي؛ ماتت الحيوانات والنباتات والإنسان على وجه الأرض، وأنتِ أيتها الشمسُ المسئولةُ عن حياتهم جميعًا.

كما كان على الشمس أن تتعلم مجرى سير الكواكب حتى تسيّرها فى طريقها الصحيح. فى بداية الأمر، كانت الشمس سعيدة أن يكون لها ملك النهار لوحدها، صاحبة التصرف فيه دون شجار مع أخيها القمر. مع مرور الوقت راحت الشمس تشعر بالوحدة من دون أخيها القمر، وراحت تفتقد أخاها القمر وتشعر بالحنين إليه.

أما القمر، فقد افتقد الشمس أيضا، وراح يشتاق إليها، بالرغم من أنه فى البداية كان سعيدًا بأن يكون له ملك الليل لوحده دون أخته الشمس، ودون الشجار معها. كما أن القمر قد تعلم الكثير من الواجبات كى يستطيع أن يدير ملك الليل لوحده، حيث تعلم مجموعات الليل، وكيف يحميها ويحافظ عليها، بحيث إن النجم الشمالى لا بد أن يبقى فى الشمال، حتى تستطيع الحيونات والنباتات والبشر أن تهتدى به.

وفى البداية، لم يتقن القمر عمله كما ينبغى، حيث كان يغلب عليه النعاس بالليل، فراحت النجوم تتحرك فى السماء كما تحب، وقفز البعض منها إلى الأرض، تاركًا السماء، وضحك البشر، وأطلقوا على تلك النجوم الهابطة إلى الأرض اسم الشهب والنيازك. كما كان على القمر أن يراعى البحار، فإذا هجمت على الأرض أعادها إلى مجراها مرة أخرى، وقد أطلق البشر على هذه الظاهرة المد والجزر. كما كان على القمر أن يتعلم حساب الأيام والشهور، وهذا لم يتعلمه القمر بإتقان حتى يومنا هذا، حيث إنه غالبًا ما يتبقى لديه يوم زائد فى العام تمامًا، مثلما فعل هذا العام، حيث إنه أضاف هذا اليوم الزائد إلى شهر فبراير.

ولكن كل هذه الواجبات لم تنسه حبه لأخته الشمس، وحنينه إليها.

إنه نادم على شجاره وعراكه معها، عندما كانا يعيشان معًا. لقد قرر القمر أن يزور أخته الشمس ويهديها أعز ما يملك، وهو سيفه الفضى. ولما رأت الشمس أخاها القمر قادمًا إليها، قابضًا بيده على سيفه، ظنت أن أخاها جاء إليها لكى يغتصب منها ملك النهار. عندئذٍ، هجمت الشمس على أخيها القمر، واختطفت السيف من يده وكسرته إلى نصفين، وألقت به فى مياه النهر. عند ذلك، رأت أن أخاها القمر قد شحب لونه، وراح يبكى، ولمعت فى عينيه معانى المحبة والوفاء لأخته الشمس، فما كان منها إلا أن انخرطت هى الأخرى فى البكاء، واحتضنت أخاها القمر فى حب وحنان، وظهر ذلك العناق الأخوى فى شكل ظلام كبير فوق الأرض.

قال القمر باكيًا، وبصوت متهدج: لقد أردت أن أهديك سيفى وأقدم اعتذارى عن كل ما بدر منى. وردت الشمس باكية أيضًا: لقد افتقدتك كثيرًا يا أخى الحبيب، ثم غاصت الشمس بيديها فى مياه النهر، لكى تبحث عن السيف المكسور مرة أخرى، ولكنها وجدت أن نصفى السيف قد تحولا إلى وردتين، فتعجب الأخوان من ذلك. وقالت الشمس للقمر: خذ أنت هاتين الوردتين، فقال القمر: لا - بل هما لك، حيث إننى أردت إهداء السيف لك.

وفى النهاية، اتفقا معًا على أن يرجوا الخالق الطيب، أن يجعل الشمس مجاورة للقمر، وأن تكون الحدود بينهما لمعيشة هاتين الوردتين، وتكون هاتان الوردتان ملكًا لهما معًا.

عند ذلك، فرح الخالق أن عاد الحب مرة أخرى إلى قلوب ابنيه الشمس والقمر، ولبى رجائهما، حيث ربط الليل بالنهار، حتى يستطيع كل منا أن يرى أن الليل مرتبط بالنهار والنهار مرتبط بالليل.

ومنذ ذلك الحين، صارت الوردتان الحمراوان تحرسان حدود الليل والنهار، ونحن البشر نطلق عليهما، غسق الصبح الأحمر، وشفق الغروب الأحمر. وهذان الغسق والشفق الأحمران غاية فى الجمال؛ تارة يكونان حمرة وردية، وأخرى يكونان حمرة مذهبة. وهنا يتبادر إلى أذهان الكثير منا، لِمَ لا يعيش الأخوان فى غرفة واحدة؟ والإجابة هـى أن الأخوين قد كبرا وأصبحا راشدين؛ والأخوان الكبيران يجب ألاَّ يعيشا معًا فى غرفة واحدة.

ثانيًا: إن ما خلقه الخالق وأصبح موجودًا لا يمكن إرجاعه مرة أخرى ويصبح منعدمًا غير موجود. أما الآن، فلا بد للشمس والقمر أن يفترقا مرة أخرى، حيث عانق كل منهما الآخر بكل حب وحرارة.

وظهرت فى السماء حمرة الغسق، وقادت القمر إلى مملكته بكل وداعة ورقة، وراح يشرق فى مملكة الليل. وباتت الشمس، حيث كانت حزينة، لا تود أن تشرق. عند ذلك، تكاثرت الثلوج على الأرض، معلنة الحداد والحزن على غياب الشمس عن الإشراق، وافتراق الأخوين مرة أخرى.

ثم غاب القمر بعد ذلك، وأفسح مكانًا لأخته الشمس، التى راحت تشرق فى السماء رويدًا رويدًا، ولكى تحيى أخاها القمر، أهدته غطاء وجهها؛ هذا الغطاء نراه، نحن البشر، فى السماء ونطلق عليه غيومًا.

ومن وقت لآخر، يأتى القمر فى النهار متخفيًا لزيارة أخته الشمس؛ فنرى الشمس ناعمة ضاحكة تحيى أخاها. وعندما ترونه أنتم أيضًا، فلا تخبروا عنه أحدًا، حتى لا نزعجه، ولا نفسد فرصته بزيارة أخته الشمس. أما الآن، فإن الأخوين التوأم الشمس والقمر قد أصبحا عجوزين يقومان بأداء عملهما باتقان وسعادة، وذلك لأنهما يعلمان أن هناك الكثيرين فوق الأرض ينتظرونهما ويحبونهما، وسوف يظل ذلك أيضًا إلى ما لا نهاية، حب البشر ومن عليها، للأخوين الشمس والقمر.

تمت

٢ـ رحلة إلى جزيرة الديناصور

هان ويان، ولدان يقيمان فى حجرة واحدة ببيوت الشباب. كان هان دائمًا كثير الخوف، فهو يخاف من كل شىء. وعلى العكس من ذلك، لم يكن صديقه يان يعرف أبدًا الخوف. فى بداية كل شىء جديد، كان هان دائمًا ما يخاف، مع بداية كل عام دراسى، فكان هان يخاف عند الانتقال من فصل لآخر؛ عند القيام بالرحلات، عندما يلعب فصله مع فصل آخر الكرة، عند إقامة المعسكرات الصيفية، كل ذلك كان هان يخاف منه ويخشاه.

أما كل هذا فقد كان مصدر سعادة وسرور لصديقه يان، الذى كان يتخيل دائمًا مدى جمال وروعة كل هذه الأحداث قبل وقوعها بعدة أيام. وكان يجد سعادة كبيرة عندما يتحدث عن كل هذه الأحداث الجديدة، وبصفة خاصة فى المساء، عندما يستلقى على سريره، ويسرد الأحداث التى عاشها طوال اليوم.

وفى ذات مساء، قال يان: عندما أكبر وأصبح موظفًا فى أحد الأماكن، سوف أكون سعيدًا عندما يمنحنى المدير إجازة كى أقوم فيها برحلة. ويرد هان: يمنحنى إجازة؟ فيرد يان: لا، بل يمنحنى أنا إجازة

من العمل. ويرد هان: هل هذه الإجــازة عبــارة عن نفق تسير فيه؟ ويرد يان: لا! بل إنها بعض من الوقت المثير والغريب.

ويتساءل هان: هل تود أن تسافر معى فى هذه الإجازة؟ ويرد يان: لا، إننى أخاف أن أسافر فى هذه الفترة الزمنية التى تطلق عليها إجازة. ويرد يان: ولكننا سوف نسافر بالأتوبيس، إن ذلك سوف يكون ممتعًا، ولكن هان رفض، وقال: إن ركوب الأتوبيس يرهقنى، ويسبب لى المتاعب؛ لا؛ لن أسافر معك.

عند ذلك أصبح يان متوترًا بعض الشيء، وأخرج قطعة لبان من جيبه، وقفز من سريره العلوى إلى أسفل، حيث يرقد يان. وقال يان: أنا عندى لك نصيحة جيدة، لكى تتغلب على مشكلة متاعب الأتوبيس، وهى أن تجلس فى المقدمة من الأتوبيس، وتنظر إلى الأمام، وتضع هذه اللبانة فى فمك، ثم جذب هان إلى حافة السرير، وجلس بجواره، وراح يقلد سائق الأتوبيس أثناء القيادة. عند ذلك فرح هان بقطعة اللبان، وراح الاثنان يتحدثان عن جمال الطبيعة التى يسير من خلالها سائق الأتوبيس، ولكم هى جميلة وممتعة!.

وفى أثناء هذا السمر، كان يان يقوم من وقت لآخر بعمل أصوات ظريفة بفمه، تمامًا كالأصوات التى يحدثها الأتوبيس أثناء سيره. وفجأة، أحدث يان صوتًا مضحكًا بفمه، وقال: إنها فرملة

الأتوبيس، ها نحن قد وصلنا إلى منطقة الرحلة المقصودة. واستدرك قائلا: لا، بل نحن فى المطار، سوف نطير الآن فى الرحلة رقم ٧٤٧.

عند ذلك قال هان رافضًا: لا، أنا لا أحب ركوب الطائرة، أنا لم أركب طائرة قبل ذلك فى حياتى، ماذا سأفعل عندما تتحرك الطائرة وأبدأ أنا فى القيء؟ ماذا سأفعل إذا انتابنى الدوار، أو سقطت الطائرة فى المياه؟ عند ذلك قال يان لهان: الآن ما عليك سوى الجلوس فى منتصف السرير هكذا، ثم قال: عندما تهب الرياح وتهتز الطائرة، شد الحزام حول خصرك. أما هذا فهو كيس بلاستيك، فى حال أن تقيئت، ولو أننى أستبعد ذلك.

والآن سوف تريك المضيفة كيف تستخدم سترة العوم فى حالة إن سقطت الطائرة فى المياه. ثم نهض يان من فوق السرير، وصاح قائلا: السيدات والسادة، سوف نريكم الآن كيف تستخدمون سترة النجاة. فصاح هان: أنا لا أفهم شيئًا! فقال يان: ليس مهمًا، الآن سوف يأتى الطعام، ثم راح يان يشرح له كيف يستخدم المنضدة الصغيرة التى أمامه، كى يضع فوقها الطعام. وقد كان ذلك جميلاً لهان، لأنه كان يحب الطعام.

وسأل هان: إلى أين نطير الآن؟ أجاب يان: الآن نطير إلى جزيرة الديناصور، وقد سميت بهذا الاسم، لأن بها مرتفعات تقذف حممًا بركانية. ثم أردف يان، مذكرًا هان بالصور الجميلة للديناصورات

الملونة، التى رأوها فى الكتب، وكذلك الديناصورات المسلية التى رأوها فى التليفزيون، وذلك حتى لا يخاف هان من الديناصورات.

ثم نهض يان من فوق السرير، وراح يحدث صوت كركبة وطرقعة بفمه. فسأل هان خائفًا: هل هذه الكركبة من الديناصورات التى تخربش فى طائرتنا؟ فأجاب يان: لا، بل إنها صوت هبوط الطائرة؛ فنحن الآن هبطنا فى المطار.

ثم سأل يان هان: هل تشعر ببعض الألم فى أذنيك؟ ولم يعرف هان، لماذا يجب أن يشعر المرء هنا بألم فى أذنيه، ولكنه على أى حال، هز رأسه بالموافقة. عند ذلك، أخرج يان من جيبه قطعتين من البونبون، وقال لهان: عند الطيران لا بد أن تضع دائمًا شيئًا فى فمك، وتبلع لعابك كثيرًا، حتى لا يحدث لك ألم فى أذنيك. وهذا الألم يحدث عندما يتغير ضغط الهواء من مكان لآخر. وراحا يمتصان البونبون، ثم سأل هان: متى نخرج من الطائرة؟ فأجاب هان: عندما تتوقف محركات الطائرة تمامًا عن الدوران، ولكن قبل ذلك، يجب علينا فك الأحزمة، ثم يجب عليك أن تكون حذرًا من الديناصورات..

ثم قفز الاثنان من فوق السرير، متجهين إلى دولاب الملابس فى الحجرة، وتساءل هان فى صوت خفيض: أين الديناصورات الآن؟

أجاب يان: إنها تختفى فوق أشجارها، الديناصورات الصغيرة فوق الأشجار الصغيرة، والديناصورات الكبيرة فوق الأشجار الكبيرة. وأشجار الديناصورات هذه، لا توجد فى أى مكان آخر من العالم سوى هنا فوق جزيرة الديناصورات.

ورد هـــان بصـــوت خفيض: أنـــا لا أراها. ورد يان هامسًا: ألا ترى تلك الأشجار؟ هل تضع ثمرتى طماطم على عينيك؟ ورد هان قائلا: إنه يرى الأشجار، ولكنه لا يرى الديناصورات التى تختفى فوقها. ثم سأل هان: هل يستطيع إضاءة نور الحجرة؟ فأجاب يان بالرفض، لأن ممر النزول به حارس، وفى هذا الوقت يجب على الأطفال جميعًا أن يكونوا نائمين. وفى أثناء ذلك، كان يان وهان يجلسان تحت المنضدة فى غرفتهما. وقال هان: إننى عطشان، والجو هنا حار، فأجاب بأن فوق المنضدة يوجد كشك المشروبات، اشتر لك عصير برتقال.

عند ذلك، نهض هان من تحت المنضدة، وتخيل أن المنضدة تعلوها بائعة العصائر، فاشترى منها هان علبة عصير. ثم نهض يان من أسفل المنضدة، وتحدث لغة غريبة لم يفهمها هان، ثم ناول يان هان نصف علبة عصير، وهان ينظر إليه فى دهشة، لأنه لم يفهم شيئًا؛

فقال هان متسائلا: ما هذا الذى قلت؟ قال يان: لا تنس أننا فى بلد أجنبى، لهذا لا بد أن أتحدث لغة أجنبية.

ولكن ما قلته معناه شكرًا جزيلاً. ولم يكن هان مقتنعًا تمامًا بما سمع، وشرب بقية عصير البرتقال، الذى كان فوق المنضدة. ثم عادا معًا إلى مكانهما تحت المنضدة، وراحا ينتظران ظهور الديناصورات. فجأة، قال يان: إن الديناصورات يراها فقط الأطفال الذين تحتوى أسماؤهم على حروف متحركة. فأجاب هان: والآن تقول لى بعد كل هذا الوقت: إن الديناصورات لا تظهر سوى للأطفال الذين تحتوى أسماؤهم على كلمة بركان؟ أجاب يان: إننى أقصد حرفًا متحركًا فى أسمائهم، وليس بركانًا فى أسمائهم، ثم صمت برهة وقال لهان: ولكن اسمك به حرف متحرك وهو حرف الألف، وهذا يعنى أنك سوف ترى الديناصورات.

وفجأة صمت يان، وقال لهان: هل تشم رائحة غريبة؟ قال هان: نعم أشم رائحة بيض فاسد. فأجاب يان نعم! إنها رائحة الكبريت، لأن الديناصورات تستنشق هواء وتخرج كبريتًا من أنوفها، وهذا يعنى أن هناك ديناصورًا بالقرب منا.

وفجأة، بدأت تظهر أجسام خضراء غريبة وبراقة. فقال يان: إنها الديناصورات، إنها هنا بأعداد كبيرة، الأسرة بأكملها: الأب والأم والأطفال. وراحت هذه الأجسام تلهو وتلعب وتأكل ثمار جوز الهند، وتطير فى الهواء، وتفعل مثلما تفعل الديناصورات.

وكان هان سعيذا وفرحًا لأن يرى كل هذا، حتى إن أحد الديناصورات الكبار عطس عطسة قوية، ففزع هان وانتابه الخوف، وأراد الوقوف فجأة، ناسيًا أنه يجلس تحت المنضدة، فارتطم رأسه بالمنضدة. كان الصباح قد طلع، واستيقظ باقى الأطفال، وكذلك المدرسة التى سمعت الارتطام فى غرفة هان ويان، وصاحت: ماذا يجرى هنا؟ ونظرت داخل غرفة هان ويان، وصاحت: واحد نائم تحت المنضدة، والآخر ينام فى غير سريره، يا إلهى ماذا أرى؟ عند ذلك نظر يان إلى هان نظرة معناها ألا يتكلم ولا يرد على المدرسة، ثم قـــالت: والآن إلـــى الحمام لكى يغتسل كل منكما، ثم إلى المطعم لتناول الإفطار.

ونظر كل منهما إلى الآخر مبتسمًا، ضاحكًا، وقال يان لهان: مساء اليوم، سوف نسافر معًا فى رحلة أخرى، وراحا يستعدان للإفطار. وطوال فترة الإقامة فى بيت الشباب، تخلص هان من مخاوفه القديمة من الرحلات، ولم يعد يخاف من الطيران، أو مباريات الكرة،

أو العام الدراسى الجديد. كما أن يان لم يعد يسافر فى رحلاته الخيالية لوحده، بل وجد له رفيقًا وصديقًا يشاركه هذا الخيال الخصب.

وبعد انتهاء فترة الدراسة، افترق يان وهان، وأصبح لكل منهما طريقه الخاص، وأصبح لكل منهما مدير خاص به، ولكنهما بالرغم من ذلك، صارا صديقين، وقاما معًا برحلة، ولكنها كانت رحلة حقيقية إلى جزيرة بها بركان. وللمصادفة الغريبة أن وجدا يافطة مكتوبًا عليها "فتحتا أنف الديناصور"..

تمت

٢- الطائر ذو الرأس الأحمر شارب العصير

أيها الصغار، هناك حيوانات تعيش فوق هذا الكوكب لا نعلم عنها شيئًا، ليس بالضرورة أن تكون فى بلادنا، ولكنها فى أمريكا الجنوبية أو أستراليا أو أماكن أخرى، وأود أن أعطيكم هنا مثالاً عن هذه الطيور، وهـو الطائر ذو الرأس الأحمر شارب العصير، الذى كان صديقًا للأرنب البرى.

ذات مرة جاءت أسرة الأرنب البرى لزيارته، فوجدوه جالسًا يتسامر مع صديقه الطائر ذو الرأس الأحمر، فصاحوا جميعًا!! ما هذا؟ أتجلس مع طائر؟ أتصادق طائرًا؟؟ فأجاب الأرنب البرى بأن الطائر ذا الرأس الأحمر شارب العصير لهو طائر جميل وذكى، وليس هناك عيب فى أن أتخذ منه صديقًا. وراحت بقية الأرانب تهذب الأصواف وتجمع الغذاء كخزين للشتاء القارص المقبل على الأبواب، وراحت تسب أخيهم الذى تصادق مع الطائر قائلة له: كف عن هذا الهراء، وتحرك وقم بعمل مفيد لحياتك.

وراح الأرنب البرى يعمل مع بقية أسرته، حيث إنه غزل قليلاً من الصوف، ثم جمع بعض الخزين، وذهب إلى صديقه الطائر وسط الأشجار كى يلعب معه. وعندما تقابل الاثنان، بادره الطائر ذو الرأس

الأحمر قائلا: هل تصدق؟ لقد قالت لى أمي: هل تريد أن تصادق الأرنب البري؟ فقلت لها نعم يا أمى، إنه أرنب برى جميل، ويستطيع أن يصفر تمامًا مثل الطيور.

فأجاب الأرنب: لقد قلت الشيء نفسه أيضًا لأمى. كما قلت لها إنك مهذب وذكى. فرد الطائر قائلا: إن هذا ينطبق عليك أنت تمامًا، هذا ما قلته لأمى عنك. لقد فرح الأرنب الصغير بما سمعه من الطائر ذى الرأس الأحمر. ثم اهتز الطائر، معلنًا بدء اللعب وصاح قائلا: ياصديقى حاول أن تلحق بى وتمسكنى، وراح يطير قريبًا من الأرض والأعشاب، والأرنب يعدو خلفه وهما سعيدان باللعب معًا حتى حل المساء. واستمرت صداقة الاثنين عدة أسابيع، دون أن تفلح محاولات أسرتى الطائر والأرنب فى إبعادهما عن بعضهما.

ثم جاء الشتاء بثلوجه الثقيلة التى غطت المرتفعات والمنخفضات، فاضطرت الأرانب إلى أن تختبئ فى جحورها لفترات طويلة، واضطرت الطيور للاختباء فى أعشاشها فوق الأشجار وبداخل الأخشاب، ومرت فترات طويلة لم ير الأرنب البرى صديقه الطائر، ولم يسمع صوته. لقد كان الشتاء هذا العام طويلاً وقارصًا عن كل عام، ونفد الغذاء فى جحر الأرانب، وراحت تتضور جوعًا، عند ذلك خرج الأرنب البرى من جحره، عله يجد بعض ما يقتات به، ولكن الثلوج كانت تغطى كل شيء.

وأراد الأرنب العودة إلى جحره خائبًا، ولكنه سمع طنينًا قادمًا من أعلى، أى من الشجرة، فنظر إلى أعلى فوجد صديقه الطائر ذا الرأس الأحمر، الذى راح يلقى له بالفروع الخضراء من فوق الشجرة، ثم راح يقشر عنها القشرة الخارجية الصلبة ويأكلان معًا ما بداخل الفروع من مادة طرية لذيذة مليئة بالعصير. واصطحب الأرنب البرى صديقه الطائر معه إلى جحر الأرانب، حيث أسرته الجائعة، وراح الطائر يعلمها كيف تقشر هذه القشرة الصلبة عن الفروع، وأن تأكل ما تحتها حتى شبعت جميعًا.

وبهذا أنقذ الطائر ذو الرأس الأحمر صديقه وأسرته من الهلاك فى الشتاء الطويل القارص. عند ذلك راحت أسرة الأرنب البرى تفكر، وقالت إن ابنى كان محقًا فى اختيار صديقه، وإن على جميع الآباء أن يعطوا أبناءهم قدرًا من الحرية فى اختيار أصدقائهم. ومنذ ذلك الوقت، أصبحت أم الأرنب البرى متفهمة لصديق ابنها، حيث إنها كلما رأت هذا الطائر يحلق فى الجو تحييه وتسلم عليه، حتى إن خالة الأرنب الصغير التى كانت لديها مشكلة فى نطق اسم الطائر وحروفه، قد أصبحت تحييه كلما رأته وتنادى اسمه بصورة ظريفة، وهى تستطعم فروع الأشجار الحلوة فى فمها، والتى أهداها لهم الطائر ذو الرأس الحمراء.

واستمرت صداقة الأرنب الصغير بالطائر ذى الرأس الأحمر، حيث كانا يلعبان ويمرحان معًا. وكثيرًا من الأحيان، كان الطائر ذو الرأس الحمراء يطير على ارتفاع منخفض وببطء، وذلك حتى يتسنى

لصديقه الأرنب اللحاق به والإمساك به. وهذا كان جميلاً وطيبًا من الطائر ذى الرأس الأحمر.

تمت

٤ـ الحيوان العجيب

اليوم فى الحضانة، كان يومًا للحيوانات، أى أن كل طفل فى الحضانة يستطيع تقليد حيوانه المفضل، وعلى بقية الأطفال فى الحضانة أن يقولوا ما اسم هذه الحيوان. فعلى سبيل المثال، كان صوت البقرة، موووووه، وصوت الديك، كيك رى كى، والقطة ميو، والكلب هو هو. وفجأة سمع الأطفال صوتًا غريبًا، لم يعرفوه، ونظر الأطفال باستهجان واستنكار، ولم يعرفوا مصدر هذا الصوت، عند ذلك أخفت تابية رأسها تحت المنضدة، لحرجها من زملاء الفصل، حيث إنها كانت صاحبة هذا الصوت الغريب. ثم أشارت بيديها فوق رأسها، علامة على قرون حيوان معين. ما اسم هذا الحيوان: تساءل أحد الأطفال؟ فأجابت تابية: إنه "الحيوان العجيب!!".

وتساءل الأطفال باستهزاء ما هذا الحيوان العجيب؟ مثل هذا الحيوان ليس له وجود. فأجابت تابية مدافعة عن رأيها: بلى إنه موجود، إنه حيوان ذو ذيل طويل أبيض. فردت زميلتها ريجينا ساخرة، مثل هذا الحيوان لا يوجد فى بلادنا. ألم تجدى حيوانًا آخر من بلادنا، كى تقلديه بدلاً من هذا الحيوان الخرافي؟ وأجابت تابية محتدة وغاضبة: إن هذا الحيوان ليس خرافيًا، وإنه موجود بالفعل.

وردت مشرفة الفصل قائلة: إنه من الأفضل لك يا تابية أن تختارى حيوانًا من هنا من بلادنا وليس حيوانًا غريبًا من أفريقيا، لكى تظهرى لنا أنك تسافرين بعيدًا إلى أفريقيا. اغتاظت تابية، وحزنت لرد مشرفة الفصل القاسى ضدها، كذلك لأن مشرفة الفصل لم تكن تعرف أيضًا هذا الحيوان، ولم تتقبل أن يعرف طفل فى الرابعة من عمره معلومة لا تعرفها هي؛ إن هذا الشيء مؤسف. هكذا فكرت تابية. عندما رجعت تابية إلى المنزل، شكت إلى والدتها ما دار اليوم فى الحضانة، وقالت لأمها: أنا لا أريد أن أذهب إلى الحضانة مرة أخرى. ولكن أمها أصرت على ذهابها إلى الحضانة.

فقالت تابية، محتجة: إن هذا العالم ظالم وسيئ، حيث إننا الأطفال بمجرد بلوغنا سن الثالثة، علينا أن نذهب إلى الحضانة، بالرغم من سونها، ثم لا بد أن نذهب بعد ذلك إلى المدرسة، والأبوان مشغولان طوال اليوم بأعمالهما. يا إلهى، لماذا جئتُ وعدت من ناميبيا إلى ألمانيا، إنه كان من الأفضل لى أن أبقى فى ناميبيا، إن الحياة فى ألمانيا لا تطاق؟! هكذا تحدثت تابية. ثم أردفت، غدًا لا بد أن نذهب إلى الحضانة أيضًا مرتدين زى الحيوانات.

أجابت الأم: إن هذا شيء جميل، ماذا تريدين أن تقلدى غدًا من الحيوانات التى نعرفها هنا فى ألمانيا؟ أجابت تابية: سوف أختار الغزال، فهو حيوان معروف عندنا فى ألمانيا، وهو حيوان جميل؟ وبالطبع يختلف تمامًا عن الحيوان العجيب من أفريقيا، وأتمنى أن

يعجب الآخرين من الزملاء فى الحضانة. وراحت تقلد الغزال فى مشيته أمام والدتها فى المنزل. ولم يكن ذلك سهلاً عليها، لأن رجليها كانتا قصيرتين، وجسمها كان نحيلاً. ثم اشترت الأم قناعا وبالطو على هيئة غزال لابنتها كى ترتديه فى الحضانة.

وفى اليوم التالى، بدا الأطفال جميعًا وكأنهم فى كرنفال، حيث بدا الأطفال، وقد ارتدى كل منهم قناع حيوان آخر. كانت ملابسهم من الورق الملون المزركش، وأصوات الحيوانات المختلفة، وبمجرد أن دخلت تابية الحضانة، لم تكن تسمع سوى مواء الحيوانات وعواء الكلاب، وميو القطط، وغيرها من أصوات الحيوانات الأخرى. عندئذ، فكرت تابية فى صوت الغزال، ما صوت الغزال؟ ولكنها لم تعرف الإجابة.

ثم راحت تتمشى بزهو مثلما يفعل الغزال، ولكن لم يعرها أحد من زملائها اهتمامًا، بينما هى كذلك حتى جرى من حولها أحد الأطفال، والذى كان متخفيًا فى زى خنزير، وقال لها صائحًا: أتقلدين مرة أخرى ما هو غريب ومجنون؟ ثم أمعن فى إغاظتها بأن مرر يده على الفراء الذى ترتديه، فصاحت به تابية قائلة: لا أقلد ما هو غريب ومجنون، بل أقلد الغزال. فردت عليها زميلة أخرى كانت ترتدى زى وقناع الماعز: إنك تقلدين ما هو غبى ومتخلف، وذلك لأن الغزلان ليست لها أصوات. كان من الأحرى بك، أن تقلدى السمكة، لأن الأسماك ليس لها صوت أيضًا. وصاحت وهى تبتعد، ماء، ماء، تماما مثل الماعز.

ولم تستطع تابية أن تتحمل كل هذا النقد، فخرجت مسرعة، واختبأت خلف المعاطف والجواكت المعلقة، وراحت تبكى بحرقة. بينما هى كذلك خلف الملابس، سمعت نباح كلب، ورأت أن الملابس تتحرك بصورة حذرة، وعندما أمعنت النظر اكتشفت أنها هى زميلتها فى الحضانة، ولكنها تكبرها بعام ونصف العام، قد تنكرت فى شكل كلب؛ إنها زميلتها كاترين.

سألت تابية كاترين: هل أنت التى نبحت مثل الكلب؟ أجابت كاترين: لا، إنها فيفى. وأخرجت فيفى يدها من ملابسها، فإذا هى ممسكة بحبل طويل فى آخره كلب حقيقى، يقفز ويلعب ويستجيب لأوامر كاترين. صاحت كاترين قائلة: تعالى هنا يا فيفى قومى بتقليد البشر، فجلست فيفى على قدميها الخلفيتين، ثم صاحت به، والآن مدى يديك إلى الأمام، ففعلت فيفى ذلك.

وأمسكت كاترين بإحدى يديها وراحت تعدو فى شكل دائرى والكلب يعدو خلفها، ثم حاولت فيفى أن تجرى فى شكل دائرى، وهى تحاول أن تقضم ذيله ولا تستطيع اللحاق بذيلها، وراحت الفتاتان تضحكان حتى إن تابية قد نسيت بكاءها، وراحت تضحك مع كاترين، فقالت لها كاترين: هل تحبين أن تلعبى مع فيفى، فوافقت تابية وأعطتها كاترين الحبل فى يدها، وراحت فيفى مرة أخرى تقلد البشر وتجرى خلف ذيلها محاولة الإمساك به.

وفرحت تابية باللعب مع فيفى حتى إن فرو الغزال قد سقط من فوق كتفيها من كثرة الجرى مع فيفى. بينما هى كذلك، خرجت المشرفة من حجرتها وصاحت منادية على كاترين قائلة: إن الفتاة الكبيرة يجب عليها أن تكون أكثر تعقلاً من ذلك، وقبل أن تنطلق فى تعنيفها، لاحظت على وجه تابية أنها قد بكت، لهذا فقد تمالكت نفسها، وغيرت من لهجتها الحادة، وقالت: لقد حان الآن وقت الإفطار. تعالوا جميعًا للإفطار!!.

عند ذلك ذهبت كاترين وتابية إلى الغرفة، وقد سحبتا فيفى سرًا معهما إلى الغرفة وأخفياها بين لعب الأطفال. وقبل أن يتركاها، همست كاترين فى أذنها قائلة: يجب عليك ألاً تتبولى هنا فوق السجاد، هل تسمعين يا فيفي؟ ثم ربطت الحبل فى رجل الكرسى، وذهبت مع تابية للإفطار، ثم نظرت تابية للخلف إلى فيفى، وقالت لها محذرة: إياك أن تبدأى فى النباح. ذهبت الفتاتان وجلستا على مائدة الطعام وشربتا العصائر مع بقية الأطفال، وكأنهما لم يخبئا شيئًا.

ثم جاءت الأم إلى الحضانة لكى تأخذ تابية إلى البيت، ولاحظت أن تابية سعيدة وفرحة، فبادرتها الأم: هل أعجب الغزال بقية زملائك؟ فأجابت تابية: لا، لم يعجبهم، ولكننى يا أمى، أرجو بأن تسمحى لى أن أدعو كاترين لزيارتنا اليوم بعد الظهر فى بيتنا. ونظرت الأم، فوجدت كاترين بجوار تابية وفى يدها حبل فى آخره فيفى. ووافقت الأم على الفور، ثم أردفت تابية قائلة: وفيفى أيضًا؟ ونظرت الأم إلى الكلب،

وقالت: وفيفى أيضًا. ثم أعدت بعض الفطائر والمقرمشات للزائر القادم إليهم بعد الظهر.

بعد عدة أيام، كانت قد عرفت بعض الشيء عن أطعمة الكلاب، وبالطبع الأطعمة الأخرى التى تسعد الأطفال، مثل قوالب الأرز المغلفة بالشيكولاتة أو المشمش المجفف، وهذان الصنفان الآخران تأكلهما الكلاب الصغيرة بنهم. عندما زارت كاترين، تابية فى منزل والديها، سعدت كاترين وفرحت كثيرًا، عندما أطلعتها تابية على صور الحيوانات من ألبومها الذى قامت بعمله فى أفريقيا.

لقد رأت فى ألبوم الصور حيوانات أفريقية عجيبة وجميلة لا تقل جمالاً عن كلبها فيفي؛ قطعان من الأيائل والغزلان والحمار الوحشى. التى تمشى فى الصحراء مختلطة بحيوانات أخرى عجيبة وزراف. وفى إحدى المرات، قامت والدة تابية بتصوير ملك الحيوانات، الأسد. وكثيرًا ما كانت تابية ترى هذه الحيوانات وهى تشرب من بئر مياه صغيرة، وقد اختلط المفترس منها بغير المفترس، تماما مثل حديقة حيوان مفتوحة وطبيعية.

وكثيرًا ما كانت تابية تنهض من مكانها كى تستعرض أمام صديقتها كاترين طريقة مشى الزراف، وكيف كانت تركع على ركبتيها كى تستطيع أن تشرب. وقالت تابية فى حماس: عندما نكبر معًا، سوف أصطحبك إلى أفريقيا، وأريك كل هذه الحيوانات. وردت كاترين عليها

قائلة: ربما نعمل فيما بعد لحماية البيئة، وما فيها من حيوانات وكائنات طبيعية أخرى. فردت تابية: إنها فكرة جميلة. بينما كانت الأم تجلس بجوارهما صامتة تقول لنفسها، لكم هو عجيب هذا الكلب الصغير، الذى استطاع أن يجمع بين قلبى الفتاتين، ويربط بينهما بتلك المودة والصداقة القوية!!

تمت

٥ـ نظرة خارج النافذة

منذ سنوات عديدة، حدثت حادثة سيارة للسيد شفارز وزوجته، نتجت عن هذه الحادثة وفاة زوجته، كما أصيب هو إصابة خطيرة. ومنذ ذلك الحين، وهو يجلس فى كرسى متحرك، لا يستطيع الحركة. وهو يعيش الآن مع ابنه الطفل الوحيد فى شقة بالدور الأرضى، فى مدينة صغيرة وفقيرة، وقد ازدادت هذه المدينة فقرًا بعد الحرب(*).

لقد استيقظ السيد شفارز هذا الصباح مبكرًا بعد ليلة سيئة، لم يستطع فيها النوم، وذلك من شدة الأرق والأحلام السيئة. ثم تحرك بكرسيه المتحرك تجاه المطبخ، حيث أعد له فنجانًا من القهوة، وذهب بكرسيه المتحرك تجاه النافذة المطلة على الشارع، كى يراقب حركة المارة فى الشارع.

لقد اعتاد أن يرى الناس، مهرولين مسرعين إلى أعمالهم، كما اعتاد أن يرى ربات البيوت، وهن يتسوقن ويشترين الخبز من المخبز، كذلك العصافير التى راحت تصوصو بأصوات عالية، مبتعدة عن

(*) هذه القصة تتحدث عن هذه الأسرة بعد الحرب العالمية الثانية التى انتهت عام ١٩٤٥، وقد خسرت ألمانيا هذه الحرب التى خلفت وراءها الكثير من القتلى والجرحى. (المترجم)

القطط، التى كانت تتربص بها بغية اقتناصها وافتراسها. ثم يجيء فى الشـــارع مســـرعًا، كلـــب وقد وضع الجريدة فى فمه لكى يعطيها لسيده، كذلك رأى حمامة وهـــى تحط بجوار العصافير وتأنس بصياحها وضجيجها.

على الجهة الأخرى من المنزل، كان هناك منزل به العديد من المكاتب، وأمامه رصيف، تأتى كل يوم عاملة نظافة تقوم بتنظيف هذا الشارع، وكذلك الرصيف. كانت هذه العاملة ترتدى دومًا ملابس خضراء؛ سواء فى الشتاء أو فى الصيف. لقد كانت العاملة تنظف كل بلاطة على حدة بإتقان وإمعان، وكأنها تقوم بتنظيف غرفة معيشة فى بيت شخص نبيل. كانت بلاطات الشارع من الجرانيت، وكانت ذات ألوان مختلفة؛ فواحدة لونها أسود، تليها أخرى ذات لون أحمر، ثم أخرى ذات لون أحمر متقاطع مع اللون الأسود.

وهكذا حتى نهاية المنزل الذى يحتوى على المكاتب. وفى البداية، كانت بلاطات الشارع متساوية وملساء، ولكن مع مرور الزمن أصبحت خشنة وغير متساوية. واعتقد السيد شفارز أنه ربما كثرة النظافة التى قامت بها عاملة النظافة، قد أدت إلى هذا، حيث إنها كانت تنظف كل حجر على حدة، كما كانت تعرف كل حجر، وكأنها على علاقة حميمة بكل منهم.

لقد رأى السيد شفارز، بلاطات الشارع بأعين عاملة النظافة، والتى راح هو يتابع كل تحركاتها فى الشارع، دون أن تشعر به.

وفى بداية الشارع، كانت البلاطات مستديرة وكبيرة، وكان على عاملة النظافة أن تنظفها بحركة دائرية حتى تجمع القمامة من حوليا ثم تغرفها بجاروفها. لقد استغرق كل ذلك من العاملة ساعة ونصف الساعة كل صباح، ثم ترحل العاملة، حاملة جاروفًا وجردن المياه، ومقشة وخرقة بالية، لتنظف بها القاذورات. بعد ذلك يتحرك السيد شفـــارز داخل مسكنه، فيوقظ ابنه كى يعد له الإفطار ويذهب إلى المدرسة.

هكذا كان البرنامج اليومى للسيد شفارز منذ عامين. وفى ذات صباح، نظر السيد شفارز خارج النافذة كعادته، ولكنه لم ير عاملة النظافة، مما أصابه بالذهول. لقد اعتاد السيد شفارز أن يرى هذه السيدة كل صباح، سواء كان ذلك شتاءً أو صيفًا، لقد أعطت حياته معنى وقيمة كان يشعر بهما دون غيره.

وبدلاً من هذه السيدة النشيطة، جاء عامل النظافة الذى كان ينظف المجلس المحلى، وسكب الماء فى الشارع مرة واحدة، ومرر عليه المساحة. وفى خلال اثنتى عشرة دقيقة، انتهى من نظافة الشارع، ولم يعجب هذا العامل المهمل السيد شفارز. ولم تأت عاملة النظافة فى الغد، وكذلك لم تأت بعد غد.

وراح السيد شفارز يفكر، ماذا عساه أن يكون قد حدث مع هذه السيدة؟ هل تركت العمل ولن تعود مرة أخرى؟ هل طردت من العمل؛

لأنها كانت تؤديه بإتقان زائد على الحد؟ عند ذلك رجا السيد شفارز ابنه، أن يسأل عن هذه السيدة.

فذهب الطفل إلى بواب العمارة المقابلة ذات المكاتب الكثيرة، فأخبره البواب بأن العاملة مريضة وأعطاه عنوانها. عند ذلك، قرر السيد شفارز أن يرسل لها ابنه، لكى يخبرها بأنه يفتقدها فى عملها، وأنه يقدر عملها تقديرًا كبيرًا. ثم اشترى السيد شفارز عسلاً وقربة للتدفئة وبعضًا من الكحك وعلب شاى طبى وأعطاها جميعًا لابنه، كى يهديها إلى عاملة النظافة فى بيتها، كما أنه لم ينس أن يضع بطاقة داخل هذه الهدية، مكتوبًا عليها اسمه وتمنياته لها بالشفاء.

ذهب الابن بالهدية إلى منزل سكنى بالدور الخامس، مقر سكن عاملة النظافة، فكانت راقدة على سريرها، فاقدة كل رغبة فى الحياة أو العمل، تعانى من السعال وارتفاع درجة الحرارة. كذلك كانت تعانى من صعوبة التنفس وضيق فى الصدر.

إنها لم تشتر طعامًا منذ عدة أيام، ولم يكن لها أقارب كى يشتروا لها طعامًا، حتى طرق الصبى الباب، وأحضر لها هذه الهدية، ولم تكن تعرف ممن هذه الهدية، اعتقدت أنها فى حلم، ثم فتحت الكرتونة ورأت البطاقة الخاصة بالسيد شفارز، والذى كان مكتوبًا عليها "السيدة ذات الرداء الأخضر، إننى أحد المعجبين الصامتين، حيث

إننى أراك كل يوم تعملين بنشاط، وأعجب باتقانك العمل واعتنائك بالأحجار، حيث إننى محب لها، خصوصًا الجرانيت الأحمر، وكذلك الأسود، وكذلك الأحجار المشطوفة فى الأجناب، حتى وإن كانت غير مريحة أثناء السير عليها، بالرغم من أننى لا أستطيع السير منذ عدة أعوام، ولكننى أرى جيدًا، حيث أسكن فى الجهة الأخرى من الشارع.

إن هذه الأحجار تفتقدك مثلى تماما، أرجو أن تشفى بسرعة وتعودى إلى عملك بسرعة. إن عامل المجلس المحلى لم يقم بعمله بحب واتقان مثلك. مع تمنياتى لك بالشفاء العاجل."

وعندما قرأت العاملة الرسالة، فرحت بها وغمرها شعور مريح وراحت تقول لنفسها: من كان يعتقد هذا؟ من كان يفكر أن هناك أناسًا يقدرون عملى ويحترمونه؟! ونهضت من سريرها ووضعت الماء على البوتجاز كى تصنع منه ماءً ساخنًا فى قربة التدفئة، وكذلك وضعت منه فى فنجان كبير بعضًا من الشاى الطبى، ووضعت به ملعقة من العسل، وراحت تشرب الشاى وتستنشق نكهته وتحدث نفسها قائلة: إننى أرقد هنا مريضة، فاقدة الرغبة فى الحياة!! بينما يوجد أناس بجوارى يحبوننى، ويقدرون ما أقوم به من عمل. إن هذه الحياة تستحق أن أحياها. إننى لا بد أن أشفى، كى أعود إلى عملى وأصدقائى..!!

تمت

٦ـ المختلف عن الآخرين

كان هذا الطفل مختلفًا عن بقية الأطفال؛ لقد بدا هذا الاختلاف من السكن، حيث إن جميع الأطفال كانوا يقيمون فى منزل محدد، ولكن هذا الطفل كان يسكن فى عربة متحركة تسير على أربع عجلات من حى إلى آخر. لقد كان والده يعمل فى الطرق والكبارى، كما أن الشوارع فى بلدة ديرلسباخ كانت سيئة ومكسرة، لهذا بقيت السيارة فى هذا الحى فترة طويلة واقفة.

كان والد هذا الطفل يقوم بإصلاح الشارع المكسر، بينما يلعب الطفل مع الأطفال الآخرين فى هذا الحى. جاءت طفلة وقالت له: هل كوت أمك شعرك بمكواة ساخنة، وانطلقت ضاحكة. فأجابها قائلا: لماذا؟ قالت لأن شعرك يبدو مجعدًا وأسود، كما لو كان محروقًا.

انظر إلى شعرنا جميعًا، إنه فاتح اللون أملس. عند ذلك، حاول بقية الأطفال أن يلمسوا شعره الأكرت، ويتحسسونه، ولكنه ضاق بذلك، وتشقلب، وهو يتمشى على يديه، كى يهرب من مداعباتهم الثقيلة. فضحك الأطفال عندما رأوه يمشى على يديه، وحاولوا تقليده، ولكنهم تدحرجوا ولم يتمكنوا من ذلك، ووقعوا على الأرض، متكومين بعضهم فوق البعض الآخر، وهم يتصايحون ويضحكون.

عند ذلك، صاحت الجدة مورلة: ما السيرك الذى يحدث هنا؟ فأجاب الأطفال: نحن نسير على أيدينا مثل الطفل الغريب.

وفى المدرسة، كان الطفل الغريب مختلفًا عن بقية الأطفال أيضًا. يقول بوكل لأمه: انظرى يا أمى إننا نكتب بأيدينا اليمنى، بينما الطفل الغريب يكتب بيده اليسرى. وقام الطفل بعمل شخبطة بيده اليسرى. ونظرت الأم وقالت: هكذا يكتب الطفل الغريب، إن خطه سيئ جدًا. فأجاب جوكل والدته قائلا: لا يا أمى إن خطه ليس سيئا، بل إن خطه بيده اليسرى أجمل من خطوطنا، نحن الذين نكتب بأيدينا اليمنى. بعد أن فرغ التلاميذ من المدرسة، سأل أحد التلاميذ الطفل الغريب قائلا: ماذا يوجد عندكم لطعام الغذاء؟ فأجاب قائلا: قولوا أنتم أولا! قال أوجين: اليوم عندنا مكرونة طويلة وشربة عدس. وأجاب يوله: أما نحن فعندنا مكرونة مطهية على البخار. عند ذلك، أجاب الطفل الغريب قائلا: أما نحن فعندنا كارفيول!! عندئذ ضحك الأطفال، وراحوا يتخيلون ما عساه هذا الشيء أن يكون.

فقال أحدهم: إنه لحم غراب مشوى، وأجاب الآخر: إنه نعل حذاء مسلوق. وراحوا يتصايحون: أرنا هذا الكارفيول من فضلك. عند ذلك أخذ الطفل الغريب رفاق المدرسة معه إلى العربة التى يعيش فيها مع والده وصعدوا على منضدة مربعة باللون الأحمر، كى ينظروا

داخل وعاء الطبيخ، فإذا بالوعاء به قنبيط، وحول منه زبدة وبطاطس وفتات الخبز.

عندئذ صاح الأطفال قائلين: إنه يقصد القنبيط. ولكن الطفل الغريب قاطعهم قائلاً: إننا نسميه كارفيول.

وراح الحى بأكمله يتحدث عن هذا الطفل الغريب وحركاته وكلماته. بل إن والد هذا الطفل، كانت له لغته الخاصة أيضًا، حيث إنه إذا طلب قهوة من أحد، كان يقول للجرسون: أريد أن أشرب واحدة بنى كبيرة. وتحدث الجيران عن هذا الطفل الغريب ووالده، واتفقوا جميعًا على أن الطفل ووالده مختلفان عن بقية الناس فى لغتهما وعاداتهما وسكنهما وطعامهما. ولكن فى الواقع، إن الطفل الغريب كان مشابهًا لبقية الأطفال ولكن مع بعض الاختلافات؛ فهو ظريف ويدعو للضحك.

فى أحد الأيام، اكتملت شوارع مدينة دورلسباخ، وأصبحت جميلة ومسفلتة تلمع تحت أشعة الشمس. عندئذ تحركت عربة الرصف التى كانا يسكنان فيها إلى مدينة أخرى كى ترصف شوارعها.

ووقف الطفل الغريب فى نافذة العربة وهو يضحك، بينما اصطف الأطفال على الشارع المسفلت، وراحوا يودعونه ويلوحون له بأيديهم الصغيرة. عندئذ ضرب جوكل الأرض بقدمه وهو حزين على

فراق الطفل الغريب، وقال: ليت الشارع يتكسر بسرعة، حتى يعود إلينا الطفل الغريب مرة أخرى. وعندما نظر إليه والده معاتبًا!! قال جوكل: إن المكان من دون الطفل الغريب ممل وثقيل. لا بد أن يوجد من هو مختلف عن الآخرين، حتى يسلينا ويضحكنا...

تمت

٧ ـ الكل ملوك

كانت هناك مملكة صغيرة، أوشك ملكها على الموت، حيث إنه أصبح شيخًا ومريضًا. لذلك جمع الملك العجوز أفراد مملكته الصغيرة، وراح يسألهم مَنْ منكم يريد أن يصبح ملكًا من بعدي؟ فصاحوا جميعًا أنا! أنا! أنا. فرد الملك المريض: إننى أريد واحدًا فقط ليس إلا، وأفضل أن يكون شخصًا يجيد الحكم.

أرجوكم أن تختاروا شخصًا من بينكم. إننى أوشك على الموت. فأجابوا جميعًا فى صوت واحد: كلنا ملوك. ورد الملك قائلا: من يريد منكم أن يرتدى تاجي؟ فأجابوا جميعا: إننا لسنا فى حاجة إلى تاجك؛ كل منا معه تاجه يا ملكنا. فأجاب: افعلوا ما تشاءون. وزفر زفرته الأخيرة، وفارق الحياة.

وبعد وفاة الملك، أصبحت البلدة الصغيرة كلها ملوك؛ الكل يرتدى تاج الملك. وأصبح الشعب سعيدًا يأكل ويشرب ويمرح ويرقص وينام سعيدًا، ويستيقظ من نومه متأخرًا. ولكن فى اليوم الثالث، لم يجدوا جميعًا لبنًا لكى يشربوه، أو يخلطوه على القهوة، ولم يجدوا كريمة للجاتوه، كما لم يجدوا زبادى للإفطار. الأبقار راحت تموء لأنها تقف فى الحقل منذ ثلاثة أيام، ولا تجد من يحلبها.

عند ذلك، اجتمع الملوك وقالوا: ماذا نفعل الآن؟ فأجاب اثنان من الملوك وقالا: نحن سنقوم بحلب الأبقار. وقالت اثنتان من الملكات: ونحن سوف نقوم بعمل الزبادى والكـــريمة. وتنفس بـــاقى الملـــوك الصعداء. ولكن فى اليوم الرابع لم يجدوا خبزًا! أو "جاتوه" حتى يتناولوا إفطارهم. عندئذ تطوعت اثنتان من الملكات، وقامتا بعمل الجاتوه والخبز وطلبتا من زوجيهما أن يجمعا الخشب ويشعلا الأفران. وبعد دقائق انطلقت الرائحة الشهية من المملكة، مملوءة برائحة الخبز الطازج والجاتوه اللذيذ.

وتنفس باقى الملوك الصعداء للمرة الثانية. وفى اليوم الخامس، لم يجدوا لحما؛ عند ذلك تطوع بعض الملوك للذهاب إلى الصيد، ولكن من سيعد الفطائر؟ ومن سيشوى اللحم؟ ومن سيقوم بعمل السجق؟ عند ذلك تطوع اثنان من الملوك بأن يحضرا بعض الكتب التى بها وصفات إعداد اللحوم وعمل السجق منها. وبهذا صارا ملكين جزارين وأصبحا معروفين بأعمال الجزارة.

وفى اليوم السادس، لكم أن تتخيلوا أنه لم يبق من الملوك أحد دون عمل؛ لأن باقى الملوك كان لا بد عليهم أن يتعلموا زراعة الخضار، وطهيه، وصيد السمك، وكذلك تربية الدواجن؛ كذلك الخياط، والطبيب وصانع الأحذية والمدرسون. وبهذا صارت لكل ملك وملكة حرفة يجيدها وتثرى حياته بجوار عمله كملك. بل إن أحد الملوك كان فنانا، يصنع قطعًا فنية، ويقدمها للناس فى الشارع للاستمتاع برؤيتها. كما أن كان هناك ملك، هوايته التسول فى الشوارع، وكان ملكًا شحاذًا

ظريفًا ومحبوبًا، وكانت زوجة هذا الملك مغنية مطربة ذات صوت شجى، تبكى من يسمعه، حتى التماسيح كانت تدمع عيونها عند سماع صوت المطربة.

في كل مساء، اجتمعت الملكات والملوك، وقام كل منهم بتنظيف تاجه من الحليب والدقيق، وريش الدجاج، ثم قاموا بالرقص والمرح، وحكموا أنفسهم بأنفسهم، وناموا فى الصباح حتى العاشرة. أيها الأطفال، إذا رأيتم فى أحد الأيام خبازًا أو خياطًا أو مهندسًا، ولكنه يُسمى بالملك، فإنكم تعلمون من هو!!

تمت

٨ ـ الطفلة التى فى الوسط

حصل ماكس وفرانس وليللى على ملابس جديدة، حيث إنهم قد عُزموا على فرح فى هامبورج. وعندما جاءوا جميعًا إلى مكان الفرح، كان على ليللى أن تقوم بتوزيع الورد مع ابن عمها الصغير، كما كان على ماكس أن تحمل فستان العروس، مشاركة مع ابن عمها الأكبر.

أما فرانس فكان دورها أن تنظر إلى كل هذا. بعد الانتهاء من الفرح، ذهب الجميع إلى مطعم اسمه "إلى الثيران" هناك كانت المناضد مجهزة ومزينة بالورود والكروت والشموع، ولكن المنضدة التى كان على فرانس أن يجلس عليها، قد نسوا أن يضعوا عليها كارتًا باسمها، ولكن فرانس لم يغضب وقال: إن فرحًا كبيرًا كهذا، يحدث به أن ينسوا كارتًا هنا أو كارتًا هناك.

ثم قاموا بعمل ألعاب بعد تناول الطعام، كان من الممكن أن يكسب كل فرد فيها بعض الجوائز، ولكن فرانس لم يستطع أن يكسب أيًا من هذه الجوائز. فقد كان معظم هذه الجوائز والهدايا مربوطًا بحبل مرتفع لا تطاله هى، وكتعويض لها عن هذا، سمح لها بأن تأخذ قطعة جاتوه زيادة عن بقية زميلاتها، ولكنها كانت قد شبعت، فلم تستطع أن تأكلها. ثم بعد ذلك، قامت العروس بتوزيع قطع من طرحتها على

الحاضرين كهدايا، وهذا تقليد متوارث من الفرنسيين، ولكن فرانس لم تحصل على هديتها، ولم يتبق لها منها شيء، وذلك لأنها كانت فى أثناء ذلك فى الحمام.

وبعد عودة فرانس من الحمام، وفى أثناء جلوسها على المنضدة، سكب أحد الحاضرين كأس النبيذ الأحمر على فستانها الجميل، مما جعلـــها تضيـــق وتحزن، حيث بدت وكأنها طفل متسخ ينثر الرماد، أو كـــأنها ضفدع قبيح أو أخت غـــير شقيقة مهملة، ولا يحبها أحد، ولا يرغب فى أن يراها أحد بدلاً من أنها كانت تشعر، كما لو كانت أميرة جميلة. جلست فرانس على حجر أمها وراحت تبكى. فى أثناء ذلك قام الساحر بعرض ألعابه، التى كان منها أرنب يرقص ويقفز بأرجله، فأثار ذلك ضحك فرانس.

عند ذلك التقط لها المصور صورة وهى تضحك وبرق ضوء الكاميرا، ولمع شعرها الذهبى فى الصورة. بعد ذلك جاءت صور الفرح إلى الأسرة، والتى كانت من ضمنها صورة فرانس الجميلة، وهى تضحك، لذلك قامت الأم بوضع الصورة فى الألبوم يمينًا ويسارًا، ولكن صورة فرانس الجميلة، وضعتها الأم فى الوسط. كل أفراد الأسرة راح يتكالب على أن يرى الألبوم ويتأمل صورة ليلة الفرح. فقط فرانس لم ترد أن تنظر إلى هذه الصور التى تذكرها بهذه الليلة التعيسة التى كانت فيها هى فقط سيئة الحظ.

وبقى الألبوم فترة طويلة فوق المنضدة حتى جاء وقت وألقت فرانس نظرة على الصور فوجدتها بالفعل جميلة، بصفة خاصة صورتها التى كانت فى الوسط والتى كانت تشرق على جميع الصور من حولها.

عند ذلك شعرت فرانس بأنها هى الشخصية الرئيسية المهمة فى الألبوم، ولم تعد تشعر بأنها غير مهمة وغير ذات فائدة. إنها فى الوسط، وإن الآخرين كانوا فوق أو أسفل أو على اليمين أو على اليسار، ولكنها هى فى الوسط، وفرحت فرانس وابتسمت ولاحظت أمها ذلك فابتسمت لفرانس أيضًا وهى تعلم ما كانت فرانس تفكر فيه.

تمت

٩ـ من يأتِ أخيرًا ليس دائمًا هو الأصغر

عندما أدرك بيستر ما حوله، وأصبح واعيًا، كان فى المنزل والدته ووالده وجدته وجده، وكذلك كاترين وكلاوس، وشقيقتان، كذلك الجيران والبقال. كل هؤلاء كانوا جميعًا أكبر منه، ويعرفون أكثر مما يعرف. إن أمه هى الوحيدة التى كانت تدرك مشاعره وأفكاره. لقد اعتاد أن يسمع دائمًا أنك ما زلت صغيرًا! تعال هنا سأساعدك! أترك هذا! سأفعل ذلك لك! لا يجب على الصغار أن يذهبوا هناك! كل هذه الجمل كانت تعكر عليه صفو حياته كل يوم. لقد كانت الأم دائمًا ما تقول لأبنائها الكبار كلاوس وشقيقتيه إن عليهم أن يأخذوه معهم للعب.

ولكنهم كانوا يعرفون كيف يتخلصون منه، حيث كانوا يقولون له إننا سنلعب لعبة المحاربين، إن عليك أن تقف كحارس ولا تغادر هذه الدكة. ثم يقول كلاوس لبيستر: إن دورك مهم جدًا. ويقف بيستر أمام مدخل الباب حارسًا له، ثم تمر خمس دقائق، وبيستر ينتظر المهاجمين، لكى يقوم بدوره كحارس.

وعندما ينظر إلى بقية الأطفال يجدهم قد انتشروا فوق جميع المرتفعات يمرحون ويلعبون، وهو واقف منتظر دون أى دور. وذات مرة ذهب مع أخوته كى يشاركهم اللعب ولكنهم أرسلوه بالسلم فوق

شجرة التفاح، ثم أخذوا السلم من تحت الشجرة، وراحوا يلعبون ويمـــرحون، وبيستر فــوق الشجــرة يبكى، ولم ينزلوه من فوق الشجرة إلا بعد أن انتهوا من لعبهم.

وعندما ذهب بيستر إلى منزله باكيًا واسته أمه، وعنفت أخوته الكبار ولكن ذلك لم يقضى على مشكلته الأساسية، وهى أنه الأصغر من بين أخوته. عندما كان يذهب مع أخته لزيارة صديقتها سوزى، كان عليه أن يلعب هناك، إما مع القطة وإما مع الكلب شتروبى، وكان لا بد له أن يسمع سوزى، وهى تقول له إنك بقلوظ ظريف وصغير، تعال كى أمشط لك شعرك، وتأخذ الفرشاة وتمشط له شعره، ثم تعطيـــه بعض الحلويات فى يده. لم يكن مسموحًا له أن يبدى رأيه فى أى شيء، أو يقرر أى شيء.

كان كلما أراد أن يحكى أى شيء يضحكون عليه بعد أن يروى جملتين، ويقول له كلاوس إنك تحكى خسًا وجزرًا، وترد أخته كاترين قائلة: دعه يحكى ما يريد فإنه أخونا الصغير. كان بيستر عندما يسمع مثل هذه الجمل يغتاظ، وينتابه سعال، يجعله يبصق عصير الكريز على جاكت الجد الجالس بجواره. عندئذ يقول الجد: لا بد أن يأكل بيستر فى غرفة خاصة بالأطفال، بينما تقوم الجدة بتنظيف الجد وبيستر معًا مما بصقه بيستر الصغير عليهما معًا.

وفى أحد الأيام، كان على بيستر أن يزور عمه بأول وخالته أناليزا اللذين لهما ابنتان صغيرتان. أثناء ذلك كان بيستر يبلغ من العمر ستة أعوام، بينما جريتشن وكيتشن كانتا فى الرابعة والثالثة من عمرهما. عند ذلك قالت الخالة أناليزا: يا بيستر خذ الطفلتين واذهب بهما إلى الحديقة ولاعبهما.

عندئذ انتشى بيستر وشعر بالفخر وذهب بالطفلتين إلى الحديقة وهو ممسك بيد كل منهما من يدها ذاهبا بهما إلى الحديقة. عند ذاك فكر بيستر ماذا عساه أن يفعل؟ واستفاد بسرعة من تجربته هو كطفل مع أخوته الذين يكبرونه ووضع كل واحدة منهما على مرجيحة وراح يمرجحهما بالتناوب وهما سعيدتان وفرحتان بذلك.

حتى إذا مللتا وضع الواحدة تلو الأخرى على الزلاجة كى تتزلقا عليها. حتى إذا ملا ذلك وضعهما على الدراجة وراح يسندهما حتى لا تقعا بالدراجة. حتى إذا ملا ذلك، راح يبنى لهما مرتفعات من الرمال ويذهب بهما إلى أشجار التفاح، وكانت الطفلتان الصغيرتان تبقيان عند كل زهرة ووردة تتأملان جمالها لأكثر من لحظة، ولكن بيستر الــذى كان يكبرهما يقول لهما هيا امشيا ألا تستطيعان السير بأسرع من ذلك؟!

عند ذلك صاحت جرينتش قائلة: إننى عطشانة الآن، أريد أن أشرب واضطرت إلى الرجوع نحو المنزل، بينما تعثرت كرينتش فى

جذع شجرة صغيرة وسقطت على ركبتها وجرحت ركبتها واصطحبهما بيستر إلى المنزل وكرينتش تبكى وتصيح من الألم. عند ذلك، عنفت الخالة أناليزا بيستر قائلة له: كان لا بد أن تنتبه أكثر للطفلتين!! ولم يجب بيستر، لأنه لم يكن يعرف كيف كان عليه أن يحافظ على الطفلتين من السقوط على الأرض؟

ثم نادت الخالة أناليزا مجددًا بيستر: لقد حان ميعاد طعام العشاء، ضع المعالق والشوك والأطباق فوق المائدة!! وفكر بيستر قائلا: إننى لم أقم قبل ذلك بفرش مائدة الطعام. عند ذلك أجابت الخالة أناليزا قائلة: أنت الأكبر والطفلتان صغيرتان لا تستطيعان عمل ذلك.

وضحكت الخالة وكأنها تدرك ما يدور فى عقل بيستر. بعد تناول الطعام أراد بيستر أن يلعب بسيارته لوحده ولكن الطفلتين لم يتركاه يلعب بالسيارة لوحده. عندئذ قال بيستر: إذن سنلعب لعبة المحاربين وأنتما الحراس، لا بد أن تقفا على الكراسى للحراسة، وتحرسا مدخل المنزل، وبهذا استطاع بيستر أن يستمتع لفترة قصيرة بالهدوء، حتى جاءت الأم أناليزا، وأخذت الطفلتين إلى سريرهما كى تناما فى ميعاد النوم.

سألت كتشن بيستر قائلة: هل ستبقى دائمًا معنا؟ فردت جرينتش كيف تقولين هذا؟ أجابت كتشن: إنه شيء جميل أن يكون لنا أخ أكبر. وفكر بيستر، وهو فى سريره قائلا: إنه لشيء جميل أن أكون أنا الأخ

الأكبر، وتمنى لنفسه أن يكون الأكبر. ولكن الأسبوع عند خالته انقضى سريعًا والآن يجب عليه أن يعود إلى أخوته، ووالديه، ويصير مرة أخرى الأخ الأصغر..

تمت

١٠ـ من أين يأتى الليل المظلم؟

نادية، مثلها مثل بقية الأطفال، تخاف من الظلام، حتى إنها فى المساء لم تكن تستطيع النوم. الأب والأم وأخوتها، الجميع حاول مساعدتها، عندما كانوا يغنون لها ويقرأون لها القصص المسلية، وكذلك يتركون الباب مفتوحا على الصالة المضاءة. كما تركوا لها فى غرفة نومها لمبة مضاءة، حتى تستطيع النوم، كما كانوا يعملون لها أعشابًا فى ماء ساخن، كى تهدئها وتستطيع النوم.

كما كانوا يشغلون الموسيقى المهدئة، حتى تساعدها على النوم. كل هذا لم يفلح فى مساعدتها على النوم. كانت دائمًا تخاف، إن هى أغمضت عينيها سوف تتوه فى الظلام الدامس، وفى نهاية الأمر، ناموا جميعًا معًا من شدة الإرهاق، بعد أن انتصف الليل. ولكن هذا لم يعجب الوالدين.

وإذا تركا نادية لوحدها فى غرفتها كانت تبكى بحرقة، حتى إن الوالدين لم يستطيعا تحمل بكائها. وعلم بهذا عمها جابرييل الذى كان

يعيش لوحده فى منزل فى هونسرك، وكان هذا الرجل ماهرًا فى كل شيء، فهو يستطيع عمل كل شيء. كان يقرأ كثيرًا ويكتب أحيانًا بعض الكتب. كان منزله يبدو وكأنه مكتبة قديمة. لقد ذهب العم جابرييل إلى زيارة نادية، ابنة أخيه، وأخذ لها هدية جميلة عبارة عن طائر البطريق من الخامات الناعمة، شكرته الأم، وقالت للأسف: جربنا لعب الأطفال من جميع الخامات ولم تساعدها على النوم.

وعندما جاء المساء، قال العم جابرييل للأسرة: يمكنكم أن تستريحوا هذه الليلة وتذهبوا للنوم، سأبقى أنا هذه الليلة والبطريق، بجوار نادية. وعندما صاحت نادية قائلة: أنا لا أستطيع النوم! قال لها العم جابرييل: إننا لن ننام، بل سنتسامر معًا طوال الليل، أنا وأنت وطائر البطريق. عند ذلك ذهبت الأسرة لزيارة الأصدقاء، تاركين نادية مع عمها جابرييل. جلست نادية فى سريرها مستقيمة الظهر تلعق فى إصبعها، وتستمع إلى طائر البطريق الذى كان يتحدث العم جابرييل بالإنابة عنه، لأن الدمية لا تستطيع الحديث طبعًا، وراح العم جابرييل يتحدث على لسان البطريق قائلا: يا نادية يا عزيزتى، هل لك أن تتخيلى أنه لا توجد هناك ليال مظلمة. عند ذلك قفزت الشمس ذات اللون الذهبى من جسم البطريق، وقالت: سوف يكون هناك فقط نور وضياء فى هذه الدنيا، وذلك عن طريقى أنا الذى أشبه صفار البيض، حيث إن البيض لدينا، معشر البطاريق، هو منبع الحياة، الشمس تتوهج فى

السماء، وتصبح الأرض مخضرة، وتموج بجميع ألوان الزهور والنباتات والحيوانات والبشر.

الزهور تزهر والطيور تغرد والأطفال تمرح وتلعب والكبار يذهبون إلى أعمالهم، وكل هذا والشمس لا تزال تسطع ولا تغيب. ولكن ياعزيزتى نادية إلى متى تستطيع الأطفال الاستمرار فى اللعب، وإلى متى تستطيع الطيور الاستمرار فى الغناء، وإلى متى يستطيع الإنسان الاستمرار فى العمل، وإلى متى تستطيع الأرض تحمل أشعة الشمس الحارقة؟

إن الأرض سوف تتحول إلى أحجار ورمال وسوف تجف المحيطات والبحار، والصحارى تتحول إلى أملاح. النباتات سوف تجف، والحيوانات سوف تختبئ فى جحورها، والبشر راحوا يعانون فى الضوء الساطع المستمر، حتى إن الكثير من البشر سوف يتغير لون بشرته، إما إلى اللون الأصفر، وإما إلى اللون الأسود، وإما إلى اللون البنى.

والكثير من البشر سوف يقلد الحيوانات ويختبئ تحت الأرض، حتى يظل لونه أبيض مثل لون بيض الفراشات.

عند ذلك، كان لا بد أن يرجو أحد "الخالق" أن تغيب الشمس، حتى لا تحترق الأرض وما عليها من كائنات. ولكن من هذا الذى سوف

يقوم بهذا الدور الكريم؟ بكل تواضع أستطيع أن أقول لك يا نادية: إنه صديقى البطريق ذو الطباع الحسنة والرداء الجميل.

إنه هو الذى نادى الخالق، متوسلاً إليه، أن الخلائق الآن تعانى، ورجاه أن يخفف عنهم حدة حرارة الشمس ولهيبها. عند ذلك استجاب الخالق الأعظم لدعاء البطريق، واستدعى من أعماق المحيط الكبير هذا الليل الذى كان نائمًا منذ زمن بعيد فى عمق المحيط. وكان الليل باردًا من طول مكوثه فى عمق المحيط.

عندئذ استيقظ الليل، ولما نشر معطفه الكبير البارد على الأرض، وأظلمت الدنيا كلها لأول مرة ارتجف البشر وسقطوا مغشيًا عليهم. لكن الأرض تنفست الصعداء واستمتعت بهواء الليل البارد. لقد أشفق الليل على النباتات التى جفت، والأرض التى تشققت، لهذا أهداهم الندى فى الصباح الباكر. وقبل أن تشرق الشمس مرة أخرى فى الصباح، ويختبئ هو مرة أخرى فى أعماق المحيط، أهدى الأرض الدموع، لكى تخفف عنها الآلام.

وعندما استيقظ الناس مرة أخرى فى الصباح بعد غياب الليل، وجدوا أن النباتات مزهرة ومورقة. وعندما جاء الليل مرة أخرى، لم يسقط البشر مرة أخرى مغشيًا عليهم، مثل أول مرة، بل ذهبوا إلى أسرتهم ورقدوا فيها مستريحين حتى الصباح. هذه الاستراحة فى السرير طوال الليل تشبه الموت، ولكنها ليست موتًا، بل نسميها نحن البشر

"النوم". ولكى لا نخاف - نحن البشر - من ظلمة الليل، أهدى الليل إلينا الأحلام الوردية الجميلة، كى تساعدنا على الاسترخاء. كما أن التغيير فيما بين الليل والنهار، جعل الناس تدرك الوقت والفرق بين الشهور والسنين.

الناس دائمًا ما يقولون: إننى لم أرك منذ ثلاث ليال، ولا يقولون الأيام. حتى اليوم يتحدث الناس عن القمر، وليس عن الشمس. وعلى سبيل المثال، فإن الإنجليز يقولون أربع عشرة ليلة، ولا يقولون أربعة عشر يوما. وصمت العم جابرييل لحظة عن الحديث، معتقدا أن نادية قد نامت. لكن نادية صاحت بصوت مرتفع: أنا مستيقظة، أنا مستيقظة. عند ذلك أعطاها العم جابرييل البطريق فى يدها، وراح البطريق يكمل الحديث قائلا: بالطبع كان من بين البشر من هم غير مسرورين، وذلك لأن الليل بالنسبة لهم. كان طويلاً أكثر مما يجب. وأرادوا أن يتخلل هذا الظلام ضوءٌ. ولكن كيف؟ فى البداية قالوا سنعبئ الضوء فى أجولة من النهار، ونفتحها بالليل، كما حاولوا أن يصطادوا ضوء الشمس بمصيدة الفئران، وحاولوا أن يحبسوا الضوء فى غرفة دون شبابيك، ولم يفلحوا أيضًا.

عند ذلك أرسل الخالق الأعظم برقًا عظيمًا من السماء، ومنه تعلم البشر إيقاد النيران التى تضيء الليل المظلم، وصنعوا منها ما نسميه اليوم لمبات الإضاءة. ولكن هذه النيران تحتاج دائمًا إلى غذاء، مثل الزيت والخشب والشحوم، وبالرغم من ذلك، أصبح البشر غير

سعداء مرة أخرى، بالرغم من هذه الإضاءة فى الليل. وذلك لأنهم اشتكوا من أن النيران تحتاج إلى طعام ووقود كثيرين. لهذا أرسل الخالق الأعظم إلى البشر مخترعًا عظيم، اسمه "أديسون" لكى يصنع للبشر شمسًا صغيرة، تضيء لهم هذا الليل الطويل. هذه الشمس لا تحتاج إلى زيت أو خشب أو شحوم، ولكنها تحتاج إلى ما نسميه الكهرباء. وعن طريق هذا الاختراع، فى استطاعة البشر الآن أن يجعلوا من الليل نهارًا، ولكن هل هذا مفيد للبشر؟ إننى أشك فى ذلك!!

إن أول شيء أدركه الإنسان من حوله، هو الضوء والظلام. ربما بقيت فى وجدان كل إنسان هذه الرجفة التى رآها البشر الأوائل، عندما جاء الليل بظلمته الموحشة، لذلك يخشى البعض منا حتى يومنا هذا، ظلمة الليل. بل إن الكثير من البشر يخشى أن يقتل الليل الشمس بنورها، فلا تشرق مرة أخرى. ولكن كعزاء للبشر وطمأنة لهم، فإن الشمس ترسل دائمًا أشعتها العاكسة فى سماء الليل المظلم، فتضيئه بعض الشيء؛ هــذا الضوء الخافت فى سماء الليل، نطلق عليه – نحن البشر – " قمرا".

وبــالرغــم من وجود القمر ليلاً، فإن كثيرًا من الأطفال الذين لا يعرفون هذه القصة يخافون النوم ليلاً بل إن الكبار لديهم فى أعماق أنفسهم أيضًا مخاوف من ظلمة الليل. ولكننا – نحن معشر البطاريق – لا نخاف ظلمة الليل، حيث إننا نحب الليل تمامًا كما نحب النهار أيضًا،

ولأننا نحب الليل، فإنه عندنا فى القطب الجنوبى يكون أكثر طولاً من الليل عند البشر، وهذا الليل يطلق عليه ليالى القطب الجنوبى.

وعلى أى حال، فأنا البطريق أعلم تمامًا أن الليل والنهار هديتان عظيمتان من الخالق الأعظم. وإنه لو لم يكن هناك ليل طويل، لكنا جميعًا فى جحور تحت الأرض، مثل الجرذان والقوارض، ولصارت حياتنا جحيمًا. ونظر العم جابرييل إلى نادية وصديقها البطريق فى حضنها فوجدها مستغرقة فى النوم، ولكنه لم يستطع تحديد الساعة بالضبط، التى استغرقت فيها نادية فى النوم. وفى اليوم التالى، أخبرته نادية إلى أى مدى استمعت إلى حكايته الشيقة، واضطر لأنْ يخبرها بنهاية الحكاية الشيقة مرة أخرى، لأنها استغرقت فى النوم قبل أن تستمع إلى النهاية. ثم رحل العم جابرييل إلى منزله مرة أخرى فى منطقة هونسرك وترك البطريق لنادية، كى يسليها ويساعدها على النوم كل ليلة. ومنذ ذلك الحين، لم تحتج نادية الصغيرة إلى والديها وإخوتها؛ كى يبقوا بجوارها كل ليلة فى غرفة نومها.

تمت

١١ـ العفريت

ذات مساء، جلست الجدة، وهى تخيط قطعة من الثياب. بينما هى كذلك لاحظت أن حفيدتها الصغيرة تتحرك بحذر، ولكن فى المنطقة المضاءة، ولا تجرؤ على أن تذهب بعيدًا عن ضوء الأباجورة فى منطقة مظلمة من المنزل. عند ذلك، سألت الجدة: ماذا بك؟ عند ذلك وضعت لالى الطفلة الصغيرة إصبع السبابة على شفتيها، مشيرة إلى جدتها بالسكوت، وقالت بصوت خفيض: هنا يجلس عفريت يا جدتى فى الركن المظلم من الغرفة.

أجابت الجدة: ما هذا الهراء؟ إننى لم أسمع عن هذا العفريت من قبل، ونهضت الجدة وأحضرت البطارية وأضاءت جميع أركان الغرفة، وسألت حفيدتها لالي: أين هو؟! إننى لا أرى عفاريت هنا؟ أجابت لالى: إنه دائمًا يهرب من الضوء، لا بد أن تريه فى الظلام، وهو قابع مختبئ. عند ذلك قالت الجدة: الآن فهمت ما تقصدين، ولكن أخبرينى كيف يبدو شكله، وماذا يقول حتى أعرفه إذا رأيته؟ عند ذلك أجابت لالي: عندما أتمشى ليلاً!! فقاطعتها جدتها قائلة: أتمشين بالليل؟ أجابت لالى متداركة: يا جدتى أقصد فى الحلم، حيث أراه قابعًا فى

الركن المظلم، وأضطر إلى السير بعيدًا عنه، وأكون مقتربة إلى الحائط حتى لا يطالنى.

ولكنه يتحرك من مكانه نحوى، ويحاول الإمساك بى، شكله أسود وضخم، فاتحًا فمه الكبير العريض؛ يحاول أن يقضم قميصه، له عينان قبيحتان شريرتان، دائمًا يتظاهر بأنه نائم، فجأة ينقض نحوى، يريد اللحاق بى. ثم سألت الجدة: وبعد ذلك؟ هنا تتعجب الطفلة لالى من جدتها التى تريد أن تسمع المزيد عن العفريت، ولم تكتف بما سمعت. فأجابت الطفلة لالي: بعد ذلك يا جدتى أستيقظ وأنا فزعة، خائفةً من هذا العفريت. وأشفقت الجدة على حفيدتها من هذه الهواجس، وراحت تفكر فى حل لحفيدتها. نظرت الجدة إلى منضدة الحياكة الخاصة بها، فرأت عليها صندوقًا يحتوى على كل أدواتها القديمة مصنوعًا من خشب الكريز. وعندما رفعت غطاء الصندوق، كانت به مرآة كبيرة، تظهر كل ما فى الصندوق من مختلف الإبر والمعدات المنتشرة فى أنحاء الصندوق.

لقد احتوى الصندوق على إبرة للتطريز، وأخرى للخياطة، وكارلشن وأغطية كارلشن، وكذلك أزرار وواقٍ للأصابع وخرامات للقماش وحشوات وخامات للحشو، وكذلك خيوط متعددة الأنواع والألوان. وعندما رأت الطفلة لالى كل ما بداخل صندوق الحياكة الخاص بجدتها، سألت جدتها قائلة: هل أرتب لك الصندوق يا جدتي؟ وقبل أن تجيب الجدة، جلست لالى على حجر جدتها.

كانت لالى دائمًا ما تحصل على هدية صغيرة من جدتها، مثل أن تحصل على فيل صغير من الفضة، أو قطعة من الحشوات الجميلة، أو بعض الخرزات المزخرفة. أجابت الجدة، وهى منهمكة فى فحص الإبر التى ثبتتها جميعًا فى مربع من الفرو، والتى وجدت من ضمنها إبرًا لحياكة الدببة أو ترقيع الدمى الممزقة.

إن الجدة لديها إبر لكل شيء على حدة، لطالما سمعت جدتها وهى تنادى على الأطفال قائلة: أيها الأطفال أين الإبرة المفضلة؟ وكانت الجدة ذات ذوق وحس رفيعين، ولكنها لم تكن تخاف من أى شيء، حتى هذا العفريت، لم تكن الجدة تخاف منه، وكأنه غير موجود.

حدقت الجدة لبرهة فى المقص الموجود فى الصندوق أمامها، والذى رأت به عدة أنواع من المقصات، بعضها لا يستعمله المرء اليوم. قديمًا كان مثل هذا المقص يستخدم – فقط – لقص فتيل الشموع، عندما كان الناس يعتمدون على ضوء الشموع. أما هذا المقص الآخر، فكان يستخدم فى الخياطة العادية، وهو مقص الحائك؛ هذا المقص كانت مقابضه مزينة بزخارف.

قديما كان الناس يحبون هذه النوعية من المقصات، كما كان الناس يحبون الفن والذوق فى أدوات العمل. ثم تناولت الجدة أحد المقصات فى يدها. عند ذلك سألت لالي: هل هناك مقصات لمن يستعمل يده اليسرى يا جدتي؟ فضحكت الجدة وقالت: إن أخرام

المقصات جميعها واحدة، ولا توجد بها فروق. ولكن الجدة قالت للالي: اقلبى المقص هكذا. وعندما فعلت لالى هذا، دخلت أصابعها الصغيرة بالضبط فى المقص. ثم نظرت الجدة إلى حفيدتها وقالت لها: الآن أهديك هذا المقص لكى تضعيه على "الكومودينو" فى غرفة نومك، فإذا أراد العفريت أن يقضم قطعة من قميصك، اقطعى هذه القطعة من القميص بالمقص، ودعيه يهرب بها، وبذلك تكونين هربت منه.

ذهبت لالى إلى غرفة نومها، وقد وضعت المقص فى درج "الكومودينو" بجوار سريرها، وراحت فى نوم عميق، ولم تستيقظ هذه الليلة إطلاقًا. وعندما استيقظت فى الصباح، راحت تتحسس قميصها، فلم تجد به أى قطعة غائبة؛ كان القميص كاملاً. عند ذلك قالت لالى لنفسها: إن هذا شيء عجيب. لقد قطعت قطعة من قميصى هذه الليلة.

وبعد تفكير قصير، أدركت لالى لوحدها أن كلاً منا له عالمان: عالم النوم والأحلام، وعالم اليقظة والواقع، ولكل من هذين العالمين علاقة بالآخر تمامًا، مثلما هناك علاقة بين الليل والنهار. على أى حال، فإن العفريت قد غضب، ولم يعد يأتى للالى مرة أخرى، حيث عرف أنه شيء ممل أن يأتى للأطفال التى لا تخاف منه، فعليه من الآن أن يبحث عن طفل آخر يخاف منه. عند ذلك، قالت الجدة مرة أخرى لحفيدتها: تذكرى أنك لا بد أن يكون معك مقص حتى وإن كان مقصًا صغيرًا فى درج غرفة نومك.

تمت!!!

١٢ـ الثلاثة فوق السطح المائل

فوق سطح المنزل، جلس كفازيل تريبة وكلاتش بازية وبلابرماول، ينظرون إلى أسفل، يراقبون المارة فى الشارع، وهم يفكرون أن يقوموا بعمل شرير من فوق سطح المنزل. فى الشارع يمشى الأطفال تجاه المدرسة.

عند ذلك صاحت كفازيل تريبة وقالت: الآن جاءتنى فكرة جميلة، وطارت من فوق السقف إلى أسفل فى الشارع، حيث يمشى توماس قاصدًا المدرسة. وسقطت على كتف توماس دون أن يشعر، وراحت تهمس فى أذنه دون أن يشعر أو يــدرى، حتى خيل إليه أنـــه يتحدث مع نفسه، وهى تقول له: أنا لا شيء، أنا لا أستطيع عمل شيء، أنا فاشل. أنا لا شيء، أنا لا أستطيع عمل شيء، أنا فاشل، أنا لا شيء، أنا لا أستطيع عمل شيء، أنا فاشل. ارتجف توماس، ولم يعرف مصدر هذا الهمس فى أذنه طوال الطريق، حتى إنه وصل إلى المدرسة مرعوبًا خائفًا شاحب الوجه.

أما كلاتش بازيه، فقد وجدت لها ضحية أخرى، وهى زلكة، التى كانت اشترت لتوها ثوبًا جديدا تذهب به إلى المدرسة. عند ذلك راحت كلاتش بازية تهمس فى أذن زلكة، وهى تقول لها: الجميع

يسخرون منى، كلهم يكرهوننى، الجميع يسخرون منى كلهم يكرهوننى، الجميع يسخرون منى كلهم يكرهوننى.

وعندما وصلت زلكة إلى المدرسة، دخلت الفصل وهى متخفية، تود ألا يراها أحد فى الفصل. أما بلابرماول الذى كان لا يزال قابعًا فوق السطح حتى رأى شتيفان يهرول مسرعًا إلى المدرسة. عند ذلك وجد له هو الآخر ضحية. لقد كان شتيفان الطالب المثالى فى الفصل، لهذا كان عليه أن يفكر جيدًا فيما سيقوله له. انقض بلابرماول على شتيفان وراح يهمس فى أذنه: أنا لست جيدًا بما يكفى، أنا لست جيدًا بما يكفى، أنا لست جيدًا بما يكفى، حتى تضايق شتيفان، وصار عصبيًا جدًا.

فى الفصل قالت كلاوديا لزلكة صديقتها: إنك ترتدين ثيابًا جديدة!! ولكن زلكة لم تعرها اهتمامًا وكأنها لم تسمع. ثم ردت على كلاوديا قائلة: نعم أعرف أنه ليس جميلاً ولا يعجبك. ثم جلست بعيدًا عن كلاوديا، قبل أن ترد الأخرى بجواب.

فى حصة الحساب جلس شتيفان يكتب المسائل الحسابية، وقد حلها جميعًا بسرعة كالعادة، ولكن بلابرماول راح يهمس فى أذنه: هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية، هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية، وتضايق شتيفان وازداد توترًا وراح يعيد الجمع والطرح مرة أخرى، حتى وقع فى عمل أخطاء فى حساباته، وقدم ورقة الإجابة إلى المدرس وهو

يرتعش ويتصبب عرقًا. عند ذلك قال له المدرس: هل أنت مريض يا شتيفان؟ أما في حصة اللغة الألمانية فنادت المدرسة على توماس وطلبت منه أن يسمعها قطعة من الشعر.

وراح توماس يستجمع ذاكرته كي يقول النشيد، ولكنه لم يتذكر سوى بيتين من الشعر، ولم يستطع تذكر الباقي. وراح باقي التلاميذ يضحكون ساخرين من توماس. تدحرجت الدموع من عيني توماس وراح يقول لنفسه: إنني لن أستطيع عمل أي شيء، إنني فاشل. وعند ذلك، قامت المدرسة من مكانها، وذهبت إلى حيث يجلس توماس، وجلست إليه، وقالت له برفق وحنان: توماس اعتقد أن أحدًا يجلس على كتفك، ويهمس في أذنك بهذه الأفكار الشريرة.

نظر توماس يمينًا ويسارًا علي كتفيه، ولكنه لم ير أحدًا. ولكن المدرسة قالت له أعتقد أن كتفك تجلس عليه كفازيل تريبة وتهمس في أذنك قائلة: أنا لا شيء، أنا لا أستطيع عمل شيء، أنا فاشل. لقد استطاعت المدرسة رؤية وسماع الأشرار الثلاثة، الذين يجلسون على كتف التلاميذ الصغار، ويهمسون في آذانهم بهذه العبارات الشريرة.

ثم قالت المدرسة: كما أنني أعرف وأرى أن هناك كلاتش بازية وهي دائمًا ما تقول لأحدكم: لا أحد يحبك، الجميع يسخرون منك. عندئذ صاحت زلكة قائلة: نعم هذا صحيح. ثم قالت المدرسة: كما أن

أحدكم يا تلاميذى يسمع فى أذنه من يقول له "إنك لست جيدًا بما فيه الكفاية". عند ذلك شعر شتيفان، وكأن المدرسة تقصده هو بذاته، فقال لنفسه: يا إلهى من أين عرفت هذا؟ ثم نهضت المدرسة من مجلسها، وقالت: إن هناك الكثير من الأرواح الشريرة التى تهمس فى آذانكم بأفكار سيئة. وعلى سبيل المثال، هؤلاء الثلاثة الأشرار الذين كانوا على سطح المنزل المائل. وعندما سمع الثلاثة الأشرار حديث المدرسة خافوا ونهضوا مسرعين عائدين إلى حيث كانوا فوق سطح المنزل المائل، وقبعوا ثانية، منكمشين كل منهم بجوار الآخر كفازيل تريبة، كلاتش بازية وبلابرماول. وعند ذلك راحت المدرسة تقول لتلاميذها: والآن يا تلاميذى، سوف نكتب على السبورة تمامًا ما يضاد تلك الجمل التى سمعناها من الأشرار الثلاثة.

عند ذلك اقترح توماس على المدرسة أن تكتب جملة "أنا أستطيع عمل ما أريد" بدلاً من "أنا لا أستطيع عمل شيء، أنا فاشل". وجملة "إن لى صديقات كثيرات" بدلاً من جملة "الجميع يسخرون منى، لا أحد يحبنى"، هذه الجملة الإيجابية الجميلة قد اقترحتها كلاوديا وفانيا على زلكة أن تقولها.

فرحت زلكة بهذه الجملة الجميلة وراحت تردد: أنا لى صديقات، أنا لى صديقات يحبوننى. أما الجملة الأخيرة التى تقول" أنا

لست جيدًا بما فيه الكفاية". والتى كانت ملازمة لشتيفان، فقد كتبتها المدرسة على السبورة هكذا "أنا جيد وممتاز بما فيه الكفاية".

عند ذلك سألت المدرسة الأطفال عن أسماء الأرواح الشريرة التى توسوس لهم فى آذانهم بالأفكار السيئة، فقال أحدهم: ياول فريته. وقال طفل آخر شفافيل كارل. وقال ثالث لابرشناوزة. وكلما سمع الأطفال أحد هذه الأسماء المزعجة راحوا يضحكون، ويسخرون منها جميعًا حتى جاءت الحصة التالية، والأطفال فى الفصل يضحكون جميعًا على الأسماء السابقة.

فسأل المدرس: ماذا يحدث هنا، ما كل هذا الضجيج؟ وقص عليه الأطفال قصة الشياطين الشريرة، التى توسوس لهم بالأفكار السيئة. فأجاب المدرس: إنكم على حق.. إننى عندما كنت صغيرًا عانيت منها أيضًا. ومنذ اللحظة كان الأطفال كل صباح يرددون بصوت مرتفع الجمل الإيجابية التى تحفزهم على الأمل والعمل ثلاث مرات بصوت عالٍ. وكل صباح، بينما هم يذهبون إلى المدرسة، كانوا ينظرون إلى أعلى فوق السطح المائل، حيث تتربص الشياطين الثلاثة الشـــريرة، ويخـــرج لهم الأطفال ألسنتهم، ويذهبون بكل همة ونشاط إلى مدرستهم..!

تمت

١٣- "كابتشينو" و"عسل" و"بقسماط"

بعد أن أنهت زلكة يومها الدراسى، جلست على مصطبة حجرية أمام المدرسة تنتظر الأتوبيس. بعد طول انتظار وصل الأتوبيس بطيئًا متهاديا، حتى وصل إلى منحنى الشارع. وقف الأتوبيس، ولكن لم يهبط منه أحد، وبعد لحظة واصل الأتوبيس سيره، تاركًا وراءه غبارًا كثيفًا. واصلت زلكة جلوسها على المصطبة الحجرية، وهى تهز رجليها هنا وهناك، حتى مرت نصف ساعة أخرى طويلة، كانت بالنسبة لزلكة وكأنها نصف عام، حتى جاء الأتوبيس الثانى.

ووقف الأتوبيس الثانى، وهبط منه رجلان، لكن لم يكن أى منهما والد زلكة.

وشعرت زلكة بأن هناك غصة فى حلقها تحاول أن تبلعها، ولكنها لا تستطيع، وكأنها تختنق. عند ذلك، أطلقت صرخة عالية كى تتخلص من هذه الغصة، وراحت تضرب بيديها الصغيرتين المصطبة الحجرية، وهى تشتم بعبارات السباب واللعنة. ثم جلست مرة أخرى على المصطبة الحجرية فى هدوء، ولكن هذه المرة لم يأت الأتوبيس ثانية.

إن المكان هادئ هدوءًا يبعث على الخوف ويثير القشعريرة فى الجسم. زلكة كانت تشعر بالوحدة والحزن، الوقت توقف لا يريد أن يمضى. وفجأة تساقطت قطرات من أمطار الصيف على يديها ورجليها. وتبللت ملابسها. وراحت زلكة تمسح الأمطار المتساقطة على وجنتيها، وكأنها تمسح دموعها.

ونهضت زلكة، ودخلت مرة أخرى إلى المدرسة التى سيطر عليها الهدوء المميت؛ لا أحد هناك، لقد انتابها الخوف والفزع حتى كادت تتبول على نفسها. فى تلك اللحظة سمعت صوتًا حنونا طيبًا هو صوت فراش المدرسة الذى انتشلها من الخوف والفزع اللذين انتاباها. وقال لها: إننى اعتقدت أنك مع والدك فى مقهى السعادة. فأجابت زلكة: لا، إن والدى لم يأت إلى الآن، ونظرت إلى حقيبة كتبها وهى حزينة ضجرة. عند ذلك، قام السيد بولمان فراش المدرسة بإعطائها كرسيًّا لكى تجلس عليه، وهو يواسيها بكلمات رقيقة. ثم قالت زلكة لفراش المدرسة: هل تستطيع مساعدتي؟ فأجاب الفراش: نعم.

فى أثناء ذلك، أعد قهوة بكثير من الحليب لزلكة؛ لأنه يعلم أن الأطفال لا يجب عليهم أن يشربوا قهوة سادة، ثم أخذ لنفسه فنجانًا من القهوة، وقال: إن بقية الأطفال الآن مــع آبــائهم، وأقاربهم، يتنزهون، ويمرحون؛ ولكننا يجب علينا أن نتقبل الأمر الواقع.

وجلس الاثنان؛ هو يشرب قهوته بقليل من الحليب، وهي تشرب حليبها بقليل من القهوة، ووضع أمامها بقسماطًا، وعسلاً. عند ذلك سأل السيد بولمان زلكة وقال: والآن أخبريني عما حدث معك بالتفصيل. وراحت زلكة تخبره عما حدث معها منذ أن تركت المدرسة، بما في ذلك انتظارها الطويل، والأتوبيس الذى أثار زوبعة من الغبار، وكذلك الأتوبيس الآخر، ثم المطر، كذلك الغصة التى انتابتها فى حلقها، وحنقها وغيظها من والدها، الذى لم يأت، لكى يصطحبها إلى المنزل.

ثم راحت زلكة تلعق العسل من أصابعها ومن على ملابسها، وقد نست مخاوفها وفزعها، وقالت للسيد بولمان: كنت أتمنى لو كنت أنت والدى، عندئذ لبقيت دومًا هنا معك فى المدرسة، ولما احتجت أن أذهب إلى بيتنا بالأتوبيس. عندئذ رن جرس التليفون، رفع السيد بولمان السماعة وأجاب بعبارات نعم، ثم أجاب مرة أخرى أهكذا! ثم قال نعم، نعم سوف أفعل بالطبع، مع السلامة، ثم أغلق السيد بولمان السماعة. ثم اتجه بكل عطف إلى زلكة وقال لها: إن أباك قد حدثت له حادثة وكسرت رجله، وهو الآن فى المستشفى، ويطلب منك أن تسألى السيدة ميركل، كى تسمح لك بزيارته فى المستشفى. عند ذلك تذكرت زلكة أنها أخطأت فى حق والدها، عندما ظنت به خطأ أنه قد نسيها وتركها لوحدها فى هذا المكان المقفر الموحش.

ولكنها لم تذهب بعيدًا، حيث ما كان عليها سوى أن تمشى بضع خطوات، حتى وجدت الونس والألفة، عندما وجدت السيد بولمان الذى

أنقذها من مخاوفها ووحدتها. لقد كان السيد بولمان مثل الملاك المنقذ. إنها أول مرة فى حياتها يقدم لها أحد من الكبار قهوة بالحليب وعسلاً وبقسماطاً. إن كلمات السيد بولمان الأبوية الحنون، بددت كل مخاوفها. إن عملاً مثل عمل فراش المدرسة، قد يكون فى بعض الأحيان من أهم الأعمال على الإطلاق!!

تمت!!

١٤ـ الحجر الأبيض الصغير

راح درك الصغير يصرخ ويتشبث برجل أبيه ويرجوه، ألا يذهب بعيدًا عنه، وقد حاول الأب أن يقنعه أن يتركه كي يذهب، ولكن دِرك تشبث برجل والده أكثر، وتجمع الأطفال حول الأب ودرك في الحضانة، وهم يتأملون الطفل الجديد في الحضانة، وهو يصرخ مذعورًا من البيئة الجديدة المحيطة به.

وراح درك يقول لأبيه: إنني أخاف، إن أنت ذهبت، فإنني لن أراك مرة أخرى. ويجيب الأب قائلا: لا تخف، إن ذلك كان في الماضي، أيام أن كان هناك حجر أبيض صغير. ويتساءل درك الصغير: أي حجر أبيض صغير تعني؟ وهو أثناء ذلك يمسح دموعه بيده الملوثة بالشيكولاته، فيمزج الشيكولاته بالدموع، ويملأ بهما وجهه الباكي. ثم يتصل الوالد بزميله في العمل، ليخبره بأنه سوف يأتي متأخرًا، نصف ساعة عن العمل، وذلك لأنه سوف يحكي لابنه قصة الحجر الأبيض الصغير.

عند ذلك، جلس جميع الأطفال حول الوالد، لكي يسمعوا جميعًا قصة الحجر الأبيض الصغير من الوالد، والد درك. جلس إليهم والد درك وراح يقص عليهم قائلا: كان هناك فتى صغير راعي غنم، كان

من واجبه أن يرعى الغنم والماعز فى الصيف. كان هذا الفتى يستطيع الغناء بإتقان حتى إن صوته كان أجمل من أصوات الطيور المغردة. وذات يوم، عطش عطشاً شديدًا، ولم يجد ماءً كى يروى ظمأه، وراح يبحث هنا وهناك عن ماء كى يشرب.

وأخيرًا وجد بئر مياه صغيرة تحت شجرة عالية، فانبطح على بطنه، وراح يشرب الماء البارد بنهم يروى ظمأه الطويل. وبينما هو يشرب من البئر، نظر فى المياه، فرأى صورة الشجرة منعكسة فى المياه، وفى أعلى الشجرة استطاع أن يرى عش طائر. عند ذلك نهض من مكانه، وتسلق الشجرة، وراح يبحث عن العش الذى رآه، فلم يجده، وهبط من الشجرة مرة أخرى دون أن يعثر على العش الذى رآه. ثم نظر من البئر مرة أخرى فرأى بوضوح العش، منعكسة صورته داخل المياه، فاضطر لأن يتسلق الشجرة مرة أخرى، كى يرى العش، ولكنه لم يعثر على العش، ولم يجده. ثم هبط مرة ثالثة من الشجرة، ونظر فى البئر ورأى العش بوضوح فراح يعد أفرع الشجرة فى المياة حتى عرف عدد الأفرع ومكان العش فيها، ثم راح يحاول مرة أخرى الصعود للشجرة، باحثًا عن العش، وراح يعدد الأفرع، حتى وصل إلى الرقم الذى رآه فى المياه.

عند ذلك ابتسم له الحظ، حيث إنه وجد العش، ووضع يده فيه. ولشدة العجب، لم يجد بداخل العش سوى حجر أبيض صغير. ولأن

الحجــر كــان جميلاً وأعجبه، فقد وضع الحجر فى جيبه، وهبط به إلى الأرض.

وعند غروب الشمس ساق ماعزه وخرافه أمامه، عائدا إلى القرية، وكالعادة راح يغنى أغانيه الواحدة تلو الأخرى. عندما وصل الفتى راعى الغنم إلى القرية، كان الناس يتعجبون، وهم فزعون، حيث إنهم يسمعوه غناءه، ولكنهم لا يرونه. استمر الفتى فى الغناء، حتى وصل إلـــى بيته، وهــو منهمك فى الغناء، دون أن يشعر بـــأن الناس لا تـــراه، وفزع والداه، حيث إنهما لا يروا ابنهما أيضًا، ولا يدريان ماذا يفعلان؟

صاحت الأم مرتجفة: ابنى المسكين أين أنت؟ لماذا لا أراك؟ ماذا فعلت، وأين ذهبت في يومك هذا؟ فأجاب الفتى الراعى على أمه، وأخبرها بما فعل طوال اليوم، وكذلك أخبرها عن قصة الحجر الأبيض الصغير. وبمجرد أن انتهى الفتى من حكايته، صاح به الأب، أعطنى الحجر الأبيض الصغير بسرعة.

عند ذلك، أخرج الفتى الحجر الأبيض الصغير من جيبه وأعطاه لوالده. عند ذلك، لم يروا جميعًا الأب، وصاح الفتى على والده قائلا: أبى أنا لا أراك أين أنت الآن؟ ولكنهم استطاعوا الآن أن يروا الابن. عند ذلك ألقى الأب الحجر من يده على حجر كبير للغسيل، فأصبح الحجر الآخر غير مرئى، وكذلك الغسيل الذى يعلوه. واستطاعوا الآن

أن يروا الأب مرة أخرى. وعندما لمست الأم الحجر الأبيض الصغير، اختفت ولم يرها أحد. عند ذلك قام الأب والابن بتكملة الغسيل بأنفسهم لاختفاء الأم. ثم قالت الأم: هذا الحجر سوف احتفظ أنا به، وأخذته وأخفته فى علبة، عند ذلك أصبحت العلبة غير مرئية. وقال والد درك للأسف: إنه لا يعرف أحد أين هذه العلبة الآن؛ لأنها غير مرئية.

وأكمل الوالد قائلا: كما أننى لا أملك مثل هذا الحجر، لذلك فإنك ما زلت ترانى يا درك، وأنا أعلم أنك موجود هنا، حتى وإن ذهبت إلى مكتبى للعمل. ثم نهض الأب وودع الأطفال ومعهم درك ابنه، وذهب إلى عمله. عند ذلك نهض الأطفال جميعهم، متحلقين حول المنضدة وراحوا يتسابقون فى رسم هذا الحجر الصغير، الملون. وفى وقت الظهيرة، جاء والد درك إلى الحضانة مرة أخرى فى ميعاده لكى يأخذ درك إلى المنزل.

تمت

١٥ـ بالطو من الكاوتش

سأل العم إدوارد: هل تريد أن تكون معى فى السيارة أثناء غسيلها فى المغسلة؟ أجاب كارلشن: طبعًا أحب ذلك، حيث إن العم إدوارد معه سيارة كبيرة، لكن والدته ليست معها سيارة، وذلك لأن القرية التى يسكن فيها مع والدته يستطيع بهـا أن يقضى كـل شىء على قدميه، لأن القرية صغيرة ولا يحتاج المرء بها إلى سيارة.

أما الآن، فإن كارلشن يزور عمه فى المدينة الكبيرة، حيث يسكن. إن الطريق إلى مغسلة السيارات يستغرق وحده ما يقرب من عشرين دقيقة، لقد صعد السيد إدوارد المرتفع الذى يقع خلف البنزينة، داخلاً فى المغسلة ثم توقف، عند ذلك جاء رجلان يرتديان "أفرول" وراحا يرشان الرغاوى الصابونية على السيارة. وراحت رغاوى الصابون تسيل على شبابيك السيارة إلى أسفل، ثم انتقلت القضبان التى تقف عليها السيارة، حاملة السيارة، ومن بداخلها، إلى مكان معتم ومظلم. عند ذلك راح كارلشن الطفل، يصرخ من الخوف والفزع:

أريد أن أخرج من هنا، أريد أن أخرج من هذا المكان المظلم، أخرجونى من هنا!! وفى لحظة جاءت ماكينة كبيرة لها آلاف الأذرع اللزجة، وراحت هذه الأذرع اللزجة تمسح وتمتص وتقبل وتمدغ فى

السيارة من جميع الجهات، وفى كل سنتيمتر من السيارة، ونحن بداخلها. لقد شعر كارلشن بأنهما والسيارة فى فم حيوان كبير يمضغ فى السيارة ويتملطها قبل بلعها.

لقد حاول كارلشن مذعورًا أن يفتح الباب الذى بجانبه كى يهرب، ولكن الباب كان مغلقًا، بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك فرشاة كبيرة جدًا تشبه فروة الخنزير، تمسح السيارة جيئة وذهابًا. كما كان المرء يسمع هذا الصوت المزعج الناتج عن حركة هذه الفرش العملاقة، والأذرع الكبيرة للماكينة. قال العم إدوارد لكارلشن مواسيًا: الآن لا بد لنا أن نتحمل حتى النهاية. إننا لا نستطيع الخروج من السيارة الآن، ومن الأفضل أن تبقى بجوارى، ولا تنظر خلال النافذة إلى الخارج. عند ذلك قفز كارلشن فوق حجر عمه إدوارد وأغمض عينيه.

ولكنه كان يسمع ضجيج الماكينة فى أذنيه. وفى لحظة ساد الهدوء ورأى الشمس تسطع، وفتح عينيه، فإذا السيارة قد خرجت من المغسلة المعتمة المظلمة، وهى تبرق وتلمع، وكأنها خارجة لتوها من المصنع.

ونظر العم إدوارد إلى كارلشن فرآه وقد اصفر وجهه وشحب من الخوف، وراح يرتعد من كل أجزاء جسمه. عند ذلك سأل كارلشن عمه إدوارد: ألم ينتبك الخوف من أذرع الماكينة الكبيرة؟ عند ذلك

ضحك العم إدوارد وقال لكارلشن: إنها لم تكن أذرعًا وإنما بدت لك كذلك، وقد نظمتها أنا مع الغسالين فى المغسلة، حتى نرى رد فعلك.

ولم ير كارلشن هذا شيئًا مسليًا، بل كان بالنسبة له شيئًا مرعبًا، ثم تحرك العم إدوارد بسيارته حول البنزينة مرة أخرى، وتحدث مع أفراد المغسلة، وقاموا بإطفاء ماكينة المغسلة. عند ذلك خرج العم إدوارد من المغسلة، مصطحبًا كارلشن معه خارج السيارة، وراح يرى كل هذه الفرش والأذرع التى رآها كارلشن من داخل السيارة وقد أفزعته وروعته، فرآها الآن، وهى ساكنة على الطبيعة دون حركة، فوجدها هادئة وديعة، حتى إن الفرش المريعة التى كان يتخيلها، وكأنها تشبه فروة الخنازير بدت له هادئة ولا تشبه فروة الخنازير.

كارلشن تشبث فى يد عمه إدوارد الذى قال له: والآن تستطيع أن تلمس كل هذه الفرش والأذرع الكبيرة، التى كنت تخاف منها. وعندما لمسها كارلشن شعر بأن كل هذه الفرش والأذرع فقط من الكاوتش مثل بالطو من الكاوتش أو حذاء برقبة طويلة من الكاوتش ثم قال له العم إدوارد: وهنا يتم الضغط على الأزرار، حتى تتحرك كل هذه الفرش والأذرع، وتمسح السيارة فى حركة دائرية. نظر كارلشن إلى أعلى واستطاع أن يرى كيف تتحرك كل هذه الفرش والأذرع. ثم طلب العم إدوارد من الميكانيكى المختص، أن يسمح لكارلشن، بأن يرى المغسلة للحظة صغيرة ثم يفصلها.

عند ذلك نهض كارلشن، ثم أدار المغسلة وأطفأها، ثم أدارها أخرى وأطفأها. عند ذلك قال له الميكانيكي: والآن يكفى هذا يا كارلشن؛ لأن هناك سيارة أخرى لا بد أن نغسلها. ثم سأل العم إدوارد كارلشن، وقال له: هل تدخل مرة أخرى بالسيارة فى المغسلة؟ عند ذلك أجاب كارلشن: لا. إن ذلك سوف يكلفك نقودًا مرة أخرى، وهذا تبذير!!

وذهب الاثنان، عائدين إلى المنزل وهما سعداء، بينما راح كارلشن يحكى كل ما رآه إلى عمته هايدى لندا. أجابت العمة: إنك طفل ذكى بارع، الآن لا يستطيع أحد أن يخدعك أو يخبرك بأكاذيب. لقد حصل كارلشن من الميكانيكى فى المغسلة على قطعة من الكاوتشوك كهدية له، ووضعها كارلشن فى جيب بنطاله، وهو فخور بها، حيث شعر بأنه قد عمل إنجازًا لم يسبقه إليه أحد.

١٦ـ هنز وكونز

قالت القطة مياو: أنا الآن لا أستطيع أن ألعب دور الملاك الطيب. إن هذا لشيء سيئ، وامتعضت. وأجابها الكلب كونز: نعم أنت محقة، إن هذا العالم أصبح بغيضنا ولا توجد به عدالة. ثم راحت القطة مياو تقول: لقد حفظت هذا الدور جيدًا عن ظهر قلب، والآن تقوم به فيرونيكا الغبية. أجاب الكلب كونز قائلاً: نعم نعم، إن هذا لشيء غير معقول وغير مفهوم!! يبدو أنك ضحية لمؤامرة ما.

ثم أجابت القطة مياو: معك حقك. يبدو أن فيرونيكا راحت تتملق وتنافق المدرسة، حتى أعطتها الأخيرة هذا الدور، دون أن تراعى مشاعرى. عند ذلك تدلى فم الكلب كونز السفلى أكثر إلى أسفل، وكذلك أذناه الطويلتان، ونظرت عيناه السوداوان الكبيرتان إلى أسفل بحزن شديد، وقال: ربما يكون السبب فى أن فيرونيكا قد أخذت هذا الدور لأنها ذات شعر جميل.

عند ذلك امتدت يد مياو إلى شعرها بحركة لا إرادية، تتحسس شعرها، الذى قصته منذ بضعة أيام، حتى غدا قصيرًا جدًا، وذلك لأن شعرها خفيف. عند ذلك أجابت مياو قائلة: قد تكون أنت محق. وذلك لأن شعرها خفيف. ثم قال كونز: والحق يقال إنها تجيد الغناء أيضنا.

كونز كان يخرج الكلمات من فمه بطريقة ظريفة، وكأنه يمدغ فى نعل حذاء قديم.

عندئذ سألته مياو، وهى محتدة ومغتاظة قائلة: ماذا تقصد بكلامك هذا؟ عندئذ، ترك كونز فكه السفلى يتدلى إلى أسفل مرة أخرى وأجاب قائلا: يا عزيزتى مياو، فى كثير من الأحيان يكون الناس ناكرين للجميل، ولا يعطون الإنسان حقه مما لديه من مواهب ومزايا. كما أود أن أقول: إنها تستطيع الرقص بطريقة أفضل، ثم أجابت مياو: ربما ترى المدرسة أن رجلى ضخمة بعض الشيء. عند ذلك قام كونز بمواساة مياو قائلا: يا لك من صغيرة بائسة! وراح يلعق وجهها بلسانه الكبير. ثم وضع رأسه بين قدميه الأماميتين، ونام، وترك مياو تصعد فوق ظهره، وهى تبكى. لقد اعتاد ذلك منها، ولم يعد ذلك يضايقه؛ لأن شعر ظهره كثيف، ولم تعد دموعها تصل إلى جلده. وراحت مياو تبكى وتقول: إننى لن أحصل على أى دور جميل، إننى لا أستطيع عمل أى شيء. وأجاب كونز بنصف هوهوة موافقا رأيها قائلا: إنك محقة، إن المرء لا يستطيع عمل أى شيء. لقد كانت مياو سعيدة فى هذه اللحظة لوجود كونز بجوارها، وهو يفهم معاناتها ويواسيها.

وفجأة دوى صوت آخر متسائلا: ماذا يجرى هنا؟ ألم تريدوا أن تناموا بعد الظهيرة اليوم؟ وتلعثم كونز فى الإجابة وأخيرًا قال: إن مياو فقدت الدور الذى كانت ستقوم به فى المدرسة. وأجاب الصوت مرة أخرى: لا إنها سوف تحصل على الدور، إنها ستقوم بدور مضحك

وظريف. عندئذ قفزت مياو، نازلة من فوق الدولاب، واقفة على رجليها الخلفيتين وهى محتدة غاضبة متسائلة: أنا أقوم بدور مضحك؟ فأجاب هنز - حيث هو الذى كان قد دوى الصوت منه فى المرتين السابقتين - مرة أخرى: نعم ولم لا؟ إنه الدور الرئيسى فى المسرحية بأكملها، إنك فى كل مكان، وتتحدثين أكثر من أي؟ شخص آخر.

فأجابت مياو: أنا لا أريد مثل هذا الدور الهزلى، إنكم لا بد أن تتـــركـــانى وشـــأنى. أما كونز فقد رأى أن هذا النقاش عبثيًا ويجب ألاَّ يسمعه. ولكن هنز راح يدافع عن رأيه قائلا: إننى أرى أن من يقوم بالتشقلب على خشبة المسرح، ويخرج لسانه للجمهور، ثم يقوم بدور الساحر الذى يسحر المفاتيح من جيب البنطال، ويرى الفاتنة كيف تسير بفتنة ودلال، إن من يقوم بكل هذا، من رأيى، لهو الفنان القدير بعينه.

لا يستطيع أى شخص عادى أن يقوم بكل هذا. إنه يحتاج إلى موهبة وشجاعة وذكاء. إن الجمهور سوف ينبهر بمن يستطيع القيام بكل هذه الأعمال. إن هنز بذاته كان منفعلاً بحديثه، حتى إن ذيله المليء بالشعر، كان يضرب الأرض من شدة الانفعال، وقدماه الأماميتان تأتيان بحركات عصبية، وكأنه يحاول أن يصطاد ذبابات طائرة.

عند ذلك نهضت مياو من مكانها، حيث كانت تنصت باهتمام إلى حديث هنز طوال الوقت، ثم مسحت دموعها وسألت هنز قائلة: هل تعتقد أننى أستطيع القيام بهذا الدور؟ عند ذلك أجاب هنز: ما هذا السؤال

السخيف؟ وقفز هنز: فوق المنضدة ثم نزل منها مرة أخرى، وقال: إذا كنت أنا أستطيع القيام بهذا الدور، إذن فإنك تستطيعين القيام به بسهولة أكثر، إنك موهوبة وسريعة الحفظ، كما أنك ذات قوام رياضى، والتشقلب على خشبة المسرح هو من الأشياء التى تجيدينها، كما أن لك عينين جميلتين، تكادان تكونان فى جمال عينىّ أنا. عندما سمعت مياو هذا الحديث من هنز، ضحكت وقامت بعمل شقلبة حتى وصلت أمام المرآة الكبيرة. ثم قفزت، وهى تنظر فى المرآة، وتشاهد مياو، وهى تقوم بعمل حركات مضحكة وتغنى وتضحك.

ثم قالت: إن هنز كان محقًا، إننى نمرة كبيرة جدًا، إننى الآن أحتاج فقط إلى بعض الشجاعة حتى أستطيع الغناء والرقص. عند ذلك قال لها هنز: إن المدرسة سوف تساعدك وتعلمك كل هذا. وفى أثناء ذلك، أراد هنز أن يلعق مخالبه الأمامية، ولكن مياو قفزت إليه وأمسكت بيديه الأماميتين، وراحت تراقصه. عند ذلك قال لها هنز: إنك بحق قطة جميلة وذكية. عند ذلك تأوه الكلب العجوز قائلاً: يا إلهى ما هذا الذى أرى؟ ولكن لم يستمع إليه أحد مرة أخرى، ولم تدع مياو أحدًا يخيفها مرة أخرى، ولم تستمع لأحد مرة أخرى يحاول أن يشدها إلى الخلف.

وراحت مياو تناقش أى مشكلة تواجهها مع هنز، ولكن هنز كان رأيه دائمًا إن الحياة جميلة، وأن من يرد فأرًا فعليه اصطياده. ثم قال هنز: إن السكوت والانتظار خلف الفرن، لا يجديان، وألقى نظرة

حادة إلى الكلب العجوز كونز. عند ذلك، سقط هنز من فوق الدولاب، ولكن ما أثار إعجاب كونز الكلب العجوز، هو أن هنز كان يقع دائمًا واقفًا على قدميه.

تمت

١٧- غير المفهوم

كان هناك رجل كثير المخاوف، ولم يكن يدرى سر كل هذه المخاوف. بمجرد أن يستيقظ من نومه كل صباح، كان ينتابه هذا الخوف، حتى إنه فى بعض الأحيان، لم يكن يستطيع النوم من شدة مخاوفه، كما أنه لم يكن يعلم مما يخاف، حتى إنه كان يصاب بالغثيان من شدة مخاوفه.

إن الخوف ليس له شكل أو اسم، ودائمًا يشعر المرء به فقط. إن المخاوف كانت تنتابه فى فترة الصباح الباكر، عندما يبقى راقدًا فى سريره فترة ما بعد الاستيقاظ، لذلك اشترى الرجل ديكًا واحتفظ به فى غرفة نومه، حتى يوقظه كل يوم الساعة السادسة صباحًا بصياح قوى، لا يستطيع بعده البقاء فى سريره، بل يستيقظ مسرعًا، ولا يبقى عنده وقت للبقاء فى سريره، كى تهاجمه هذه الكوابيس والمخاوف المزعجة. عند ذلك استيقظ الرجل وأعد إفطاره له وللديك، ثم ذهب إلى عمله سعيدًا من دون مخاوف.

ولكن هذه السعادة لم تستمر طويلاً، حيث اشتكى سكان المنزل من صوت الديك المزعج فى الصباح الباكر، وكان على الرجل أن

يستغنى عن الديك ويبعده عن المنزل. ثم اشترى الرجل منبهًا، ولكن المنبه لم يكن جميلاً مثل الديك، حيث إنه كثيرًا ما كان ينسى أن يضبط المنبه، وأحيانًا أخرى كان يغلق المنبه ويستمر في نومه. وكثيرًا ما حاول الناس مساعدته، ولكنهم لم يستطيعوا، لأنه لم يستطع أن يقول لهم مم يخاف؟.

ثم سأله أحدهم: هل أنت خائف لأنك كنت تعيش فى منطقة حرب؟ وربما تكون قد عايشت بعض التجارب السيئة؟ ولكنه لا يجيبهم، لأنه لا يتذكر بالضبط إن كانت له تجارب سيئة فى هذه الأماكن، حيث إنه كان يعتقد دائمًا أن المرء يجب عليه أن يتذكر فقط الذكريات الطيبة، وليس الذكريات السيئة، ويقول له أصدقاؤه: ولكنك تخاف من هذه الذكريات السيئة ويجيب قائلاً: لا، كيف يخشى المرء الماضي؟ عند ذلك قال له الأصدقاء: إنك لا تريد أن يساعدك أحد، وتركوه وانصرفوا إلى حال سبيلهم. ذات يوم وقع هذا الرجل فى حب امرأة بدينة، وقد كانت تملك حديقة للتفاح، وكان كثيرًا ما يخرج معها ويتحدث إليها ويذهبان معًا للتنزه فى الحديقة، ثم أخبرها ذات يوم عن مخاوفه، فقالت له: إننى أريد أن أساعدك، أخبرنى كيف تبدو مخاوفك هذه؟ فأجاب: إنها تبدو مثل الماء الأسود فى مستنقع مياه راكد؛ تماما مثل الرياح القاسية فوق حقل زراعى متجمد من كثرة البرودة. ثم تسأله المرأة البدينة: وما طعمه؟ فيجيب: إن له طعمًا مثل طعم الطعام الفاسد المغلى سبع مرات، ثم اشمئز من شدة سوء طعم هذه المخاوف.

عندئذ، أعطته المرأة البدينة كوبًا من الماء، حتى يزيل هذا الطعم الكريه من حلقه. ثم سألته: وما رائحة هذه المخاوف؟ فيجيب: إن رائحتها عفنة. ثم سألته مجددًا: وما ملمس هذه المخاوف؟ إن ملمسها هلامى، وهى تحيط بالفرد من كل جانب تكاد تخنقه، هكذا قال الرجل لها. عند ذلك، قدمت له خبزًا ساخنًا بالزبدة والعسل مع فنجان من القهوة.

وأكل الرجل من هذا الطعام اللذيذ، حتى شبع ونسى كل هذه المخاوف. عند ذلك ذهب الاثنان إلى المتنزه فى الغابة. كان الجو ربيعًا والرياح الناعمة، تداعب أوراق الشجر، وأسفل أقدامهم نهر صغير، تترقرق مياهه فوق الأحجار البيضاء، وفوق أغصان الشجر راحت الطيور تغرد، ثم اقتطف زهرة وراح يشمها، فكانت رائحتها مزيجًا من ألف زهرة. فى المساء نام الرجل، وهو قرير العين من دون أحلام مزعجة. فى الصباح صاح الديك مرة أخرى بجوار سريره، واستيقظ من نومه.

عند ذلك قالت له المرأة البدينة: إن تفسير أحلامك المزعجة هو كما يلي: المياه السوداء فوق المستنقع الراكد ما هو إلا ماء جارٍ من النهر الصغير وأسفله أحجار بيضاء. أما الرياح القاسية فوق حقل متجمد فما هى إلا نسمات الربيع، وتغريد الطيور. أما الطعام الفاسد المغلى سبع مرات، فهو الخبز الساخن بالزبد والعسل.

أما الرائحة العفنة فى أحلامك فما هى إلا رائحة الزهور الجميلة التى شممتها البارحة. أما هذا الشكل الهلامى، فما هو إلا سريرك المريح الذى تنام فيه. وراحت المرأة البدينة تمازحه وتضحك. عند ذلك، أدرك الرجل أن كل الكوابيس التى كانت تنتابه، ما هى إلا أشياء غير مفهومة وغير مبررة. ثم تذكر ما كانت تقوله له المرأة البدينة، إن الماء الأسود فى المستنقع الراكد ما هو إلا نهر مياه جميل، أسفله أحجار بيضاء جميلة...

تمت

١٨ـ لقد غدا المكان ساكنًا

يانسى يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا، وقد ذهب إلى الحديقة للتنزه. عند ذلك لفت نظره كائن صغير جدًا تحت شجرة، راح يتحرك بصعوبة. اعتقد أن هذا ما هو إلا فأر صغير، ولكنه عندما اقترب منه وجد أنه سنجاب صغير قد وقع من عشه، ولا يستطيع المشى. عند ذلك حمله يانسى بين يديه، فشعر أن هذا الحيوان الصغير ناعم الملمس، وفروته مثل الحرير، وشعر بأن هذا الحيوان فى حاجة ماسة إلى مساعدة. عند ذلك أخذه معه إلى منزله، وهو لا يدرى ماذا سيفعل بهذا الحيوان الصغير؟

عندما رأى يانسى والدته، سألها يا أمي: ماذا أعطى هذا الحيوان الصغير لكى يأكله؟ فأجابت الأم: إنه صغير وليست له أسنان، كى يأكل. إن مثل هذا الحيوان الصغير يحتاج إلى لبن، كى يشربه، ولكن أفضل ما يقدمه له المرء، هو لبن السنجاب وليس أى لبن آخر. عند ذلك اندهش يانسى، لأنه لا يعرف من أين يحصل على لبن السنجاب هذا. عند ذلك ضحكت الأم، وقالت ليانسى: إن هذا الحيوان،

يستطيع أن يشرب أى لبن آخر. إننى كنت أمزح معك. عندئذ أحضر يانسى قليلاً من اللبن، ومزجه مع الماء الدافئ، وقليل من السكر، وقدمه للحيوان الصغير، الذى راح يلعق من هذا الطبق اللذيذ. عند ذلك قالت الأم لابنها: يانسى، إنه فى حاجة إلى عش. عند ذلك أحضر يانسى كارتونا، كان قد اشترى به حذاء، ثم وضعت الأم بعض الأقمشة القديمة بداخله. ووضع يا نسى الحيوان الصغير بداخل هذا الكرتون، وتكور الحيوان الصغير بداخله، واضعًا ذيله المليء بالفرو فوق عينيه، وكأنه يريد النوم، ثم راح فى نوم عميق.

ثم حمل يانسى الكرتون، ووضعه بجوار سريره، بعد أن ضبط المنبه على أربع ساعات، حيث إن الحيوانات الصغيرة تحتاج إلى طعام باستمرار. وراح يانسى يطعم الحيوان الصغير ويعتنى به حتى كبر الحيوان ونمت له أسنان صغيرة. عندئذ راح يانسى يطعمه من المكسرات والحبوب وأفرع الأشجار الصغيرة. ثم جاء الأخ الأكبر ليانسى، وبنى قفصًا أكبر للسنجاب ووضع به أفرعًا من الشجر، كى يتسلق عليها. كما وضع بالقفص بعض الأوراق، كى يختفى خلفها الحيوان. وعندما كان يانسى يعود كل يوم من المدرسة، كان يخرج السنجاب من القفص، ويتركه يلهو ويلعب فى غرفته، ثم يضعه مرة أخرى فى القفص.

ونشأت بين يانسى وصديقه السنجاب صداقة قوية متينة. ذات يوم عاد يانسى من المدرسة إلى منزله. ومن العجيب أن يانسى لم ير

صديقه السنجاب فى انتظاره كالعادة، بل رآه نائمًا فى القفص، مختبئًا وسط الأوراق. ولم يردْ يانسى أن يوقظ صديقه ، وتركه نائمًا.

فى الصباح لم يستيقظ السنجاب كعادته، بل ظل مستلقيًا وسط الأوراق فى مكانه من الأمس لم يبرحه. عند ذلك، فزع يانسى وجرى إلى أمه مهرولاً. عند ذلك، جاءت الأم إلى غرفة يانسى ورفعت الحيوان من القفص. لقد كان جسمه باردًا ومتصلبًا، وبدا وكأنه نائمًا. بكى الطفل الصغير بحرقة على صديقه الحيوان الصغير، وذهب يانسى، وأحضر الكرتون القديم، الذى كان أول عش له، ووضعوا به جسد الحيوان، وكأن الكرتون هو تابوت للسنجاب. ثم ذهب بعد ذلك إلى المدرسة وهو حزين باك، معتقدا أنه هو السبب فى وفاة السنجاب. بعد الظهر جاء يانسى وصديقه من المدرسة كى يقوما بدفن السنجاب، ثم وضعا حبوبًا وأفرع شجر وورودًا فى الكرتون، كذلك كارورة خيط، كان السنجاب يحب دومًا أن يلعب بها.

ثم قاما بعمل حفرة فى الحديقة ووضعا بها الكرتون، بما فيه جثة السنجاب، ثم أهالا فوقها التراب، ووضعا فوقها صليبًا. ثم لوحة حجرية، مكتوبًا عليها، هنا قبر السنجاب. ثم رسما طريقًا بين القبر وأقرب شجرة، كى تسير فيها روح السنجاب وتصعد إلى الشجرة.

ثم قام صديق يانسى بعزف قطعة موسيقية على عوده لوداع السنجاب. فوق الشجرة جلست عصفورة راحت تغنى على أنغام الموسيقى التى عزفها صديق يانسى. ثم قام الصديقان بعمل نعش لصديقهما السنجاب. ثم راح الصديقان يلعبان لعبة الكروت، حتى ينسيا أحزانهما؛ حيث إنهما لا يستطيعان أن يبقيا فى حزن طوال اليوم.

وبقى يانسى محتفظًا بالقفص وقصعة الطعام والعش، التى كانت تخص السنجاب. كما أن يانسى كان ينتظر كل صباح أن يقوم السنجاب، بعمل الضوضاء المحببة، التى كان يقوم بها كل صباح. ولكن السنجاب قد مات، ولن يعود مرة أخرى.

لقد أصبحت غرفة يانسى الآن هادئة وحزينة، وشعر يانسى بأنه قد غدا وحيدًا وبائسًا. ثم قالت الأم، تواسى ابنها يانسى: إن عليه أن يلملم كل شيء يخص السنجاب من غرفته، لأن السنجاب لن يعود مرة أخرى، وأن يانسى يجب عليه ألاَّ يعيش حياته فى وهم، منتظرًا عودة صديقه.

وقالت الأم لابنها يانسى: إن صديقك السنجاب لا يستحق أن تكون حزينًا، وهو فى عالمه الآخر، كما لا بد وأن تعلم يا بنى، أن الحيوانات لا تعيش طويلاً مثل البشر. ثم قال يانسى إننى لو لم أجد هذا الحيوان لما عرفت معنى الحب. وأعجبت الأم من رأى وحكمة ابنها، ثم تخلص يانسى من الشعور بالذنب، الذى كان ينتابه من أنه السبب فى وفاة السنجاب. والآن انقضت بضعة شهور، على وفاة صديقه السنجاب، وهو يفكر الآن فى أن يشترى زوجًا من الكناريا كى يضعه فى القفص، الذى كان مخصصًا لصديقه السنجاب.

تمت

١٩ـ ملاكان فى صدرى

نيكولاس كان أصغر أخوته وأجملهم. وكان يستحوذ على قلوب الجميع بابتسامته الساحرة. وديع، ولطيف دائمًا. كان يملك مقومات السعادة وكأن الحظ السعيد كان حليفه. كان ذكيًا فى المدرسة يتعلم بسرعة عجيبة من دون مشقة أو عناء، فى حين كان يجب على أقرانه من الأطفال الآخرين أن يعانوا حتى يحصلوا على قدر ضئيل مما كان يتمتع به نيكولاس.

ولكن نيكولاس عندما بلغ الخامسة من عمره أصابه المرض وأصبح ضعيفًا لا يستطيع الحركة، حتى إنه غدا دائمًا فى السرير، بينما يلعب أخوته حوله. ذات يوم قال نيكولاس لأخوته: أنتم عشتم قبلى فترات طويلة، ولم أكن أنا قد ولدت، والآن لا أريد أن أموت وأترككم وحدكم. وصمت الجميع للحظة، ثم قالت أخته الكبرى مارلين: لا أحد يفكر فى هذه الأفكار السيئة الآن، ثم قال نيكولاس: إننى أشعر بأن صدرى به ملاكان: أحدهما يتنفس، والآخر يدق، وأتمنى ألا يكونا قد تعبا، ويريدان مغادرة صدرى، والطير إلى السماء.

عند ذلك أجابه ماكس ذو الأعوام التسعة: إن السماء مليئة بالملائكة وأعتقد أن بعض الملائكة تحب أن تبقى معنا على الأرض.

أما الأخت الأخرى إليزابيث فقد قالت: إذا توفى أحدنا قبل الآخر فيجب عليه أن ينتظرنا على بوابة السماء، حتى نأتي جميعًا له. ولكن مارلين قالت معترضة: ربما لا تستطيع البقاء، هناك كما تود. عند ذلك قال ماكس: من الأفضل أن نسأل والدنا، لأن الآباء غالبًا ما يمـــوتون قبـــل الأبناء. ثم قالت إليزابيث: هناك بعض الأطفال الذين يموتون مبكرًا أيضًا.

فنظرت مارلين إليها نظرة عتاب على قولتها هذه. كانت مارلين تبلغ من العمر أحد عشر عامًا، وتشعر وكأنها المسئولة عن بقية تصرفات أخواتها. عند ذلك سأل نيكولاس قائلا: ما الموت يا توبي؟ هل معنى ذلك أن عظامى تخرج من جسمى، فلا يعد هناك فى جسمى ما يحمل لحمي؟ عند ذلك تحدث توبى قائلا: فى الحقيقة لا أعرف ولكن أعتقد أن هناك شيئًا ما يخرج من الجسم، ولا يعود، أما العظام فهى تبقى فى الجسم ولا تغادره.

ثم صاح ماكس قائلا: إن العظام كلها تسمى بالهيكل العظمى، فلكزته مارلين بقدمها من أسفل المنضدة. أجاب ماكس مغتاظًا: إن من حقى أن أقول رأيى أيضًا. ثم جاءت الأم، وحملت نيكولاس إلى سريره، وبقيت مارلين بجوار سريره، بينما الأم تعد طعام العشاء. ثم سأل نيكولاس مرة أخرى من هو الله؟ أجابت مارلين قائلة: هو عظيم، قد خلق كل شيء بعد تفكير طويل وإتقان وإحكام، وهو موجود دائمًا فى السماء وهو لا يريد أن يقوم الأشرار من البشر، بتخريب كل ما عمل من أشياء جميلة عن طريق تلويث البيئة، وعمل أنشطة نووية سيئة.

ويجيب نيكولاس: ألا يستطيع الإله أن يفعل شيئًا ضد هؤلاء الذين يخربون بيئته وطبيعته الجميلة؟ قالت مارلين لا أعلم. إن ذلك يشبه أنه عندما أقوم برسم لوحة جميلة بألوان مائية، ويأتى شخص آخر ويخلط الألوان ببعضها، عند ذلك تضيع معالم الصورة، وتصبح نشازًا. ثم يتساءل نيكولاس مجددًا: هل تعتقدين إذن، أن الله سـوف يخـلق عـالمًا جـديدًا غير هـذا الذى خـربه البشر؟ قالت مارلين: لا أعتقد ذلك.

فأجاب نيكولاس: إننى عندما أصعد إليه فى السماء سوف أرجوه أن يخلق عالمًا جديدًا، وإننى متفائل أنه سوف يقوم بذلك، بل سوف يخلق لك لوحة جديدة غير اللوحة التى خربت منك. امتلأت عينا مارلين بالدموع وقالت لأخيها: دع هذا العمل يقوم به غيرك، وابق أنت هنا معنا على الأرض.

ثم جاءت الأم بطعام العشاء لنيكولاس، وأكل منه القليل، تمامًا مثل الطائر الصغير. ثم أعطته والدته الأدوية التى يتناولها. لقد صحنت الأم البرشامة، ثم دستها فى المربى وأعطتها لنيكولاس، وذلك لأن نيكولاس لا يحب البرشام. ثم أشعلت الأم شمعة المساء، ووضعتها فى طبق به ماء، ووضعتها جميعًا فى غرفة نوم نيكولاس. تساءلت إليزابيث الصغيرة: لماذا يا أختى الشمعة والمياه معًا؟ أجابت الأم: الشمعة سوف تحرس نيكولاس، أما الماء فهو يحمى المنزل من الحريق. عند ذلك قالت إليزابيث، معاتبة أمها: والشمعة سوف تحرسنى

أنا أيضًا. رقد الأطفال في أسرتهم وهم نيام، وراحت الأم تغنى لهم أغنية قبل النوم، حتى راحوا فى النوم. فى الصباح التالى، سأل نيكولاس أمه قائلا: من سوف يشفينى من المرض يا أمي؟ قالت الأم: ربما يشفيك من شفى عقلة الإصبع. قال نيكولاس: ومن عقلة الإصبع؟ قالت إليزابيث: إنه موجود هنا فى الكتاب الأخضر، ونهضت بخفة وأحضرت الكتاب الأخضر، الذى يحتوى على الكثير من الحكايات الشيقة. ثم أمسكت مارلين بالكتاب وفتحته، وراحت تقرأ ما به، ثم قالت: إن القراءة تجعلنى أتثاءب وأنام؛ وما كان من نيكولاس سوى أن تثاءب هو الآخر، وأغمض عينيه وراح فى النوم.

ومنذ ذلك الحين كانت مارلين كل يوم تقرأ قصة من الكتاب الأخضر، وفى المساء تحكيها لنيكولاس، وكان بقية الأخوة يستمعون لحكايات مارلين مع نيكولاس أيضًا. كانت كل الحكايات تدور حول عقلة الإصبع الذى دائمًا ما كان يدخل فى عالم الملوك، كشخصية صغيرة جدًا ثم يصبح بعد ذلك هو الملك. كانت حكايات عقلة الإصبع دائمًا مسلية ومثيرة، حتى إن الأخوة الأربعة لم يرغبوا فى الافتراق عند النوم، بل أرادوا أن يناموا فى غرفة واحدة ويسمعوا حكايات عقلة الإصبع. وعندما كان الأطفال يصيبهم بعض من الحزن، كانت الأم تشعل لهم شمعة، وتضعها فى طبق به مياه حتى يناموا جميعًا. ثم قالت إليزابيث الصغيرة: إننا الآن لدينا أخ ينتظرنا فى السماء، وسوف يرينا الطريق، ويرشدنا فى عالم السماء.

تمت

٢٠ـ لم يستطع هذا العالم مساعدتى

جلست الطفلة سارة على حجر جرانيت أحمر، وراحت تتلمس بأصابعها الحروف المكتوبة على الحجر، وهى اسم أبيها أرنولد جوتمان. لقد توفى والدها ودفن وهى فى رحلة فى أفريقيا فلم تره. إن كل ما سمعته عن موت والدها، قد أربكها أكثر، وهى الآن وحيدة تشعر بالشوق إلى أبيها، والرغبة فى الحديث إليه. فى المقابر كانت أوراق الأشجار تنبعث منها روائح طيبة، نظرًا لشروق أشعة الشمس عليها. كما كانت أوراق الأزهار ملونة فاقعة، غير ملائمة لحرمة المكان، وكأن الزهور أرادت أن تخبئ أحزان المكان بألوانها الفاقعة.

لقد كانت هناك أنواع أخرى من النباتات والأشجار فوق منطقة المقابر المرتفعة، مثل السرو بأوراقه القاتمة، وأشجار أخرى ذات جذوع بيضاء، والتى كانت مرتفعة بفروعها فى السماء، وكانت ذات أوراق فاتحة اللون، تبرق وتتحرك تحت ضوء الشمس مع حركة الرياح. وعندما راحت سارة تحدق فى أوراق الأشجار، رأت فجأة أباها. فى البداية لم تصدق عينيها، ولكنه جاء إليها مبتسمًا. فقالت له سارة وهى مرتبكة: إننى اعتقدت أنك ميت؟ فقال لها: فى الواقع إننى سعيد، حيث إننى لا أرقد تحت هذا الحجر الجرانيتى الثقيل. فقالت سارة: نعم أفهم ذلك! الحجر كان ضخمًا ولكن هذا النوع من الحجر كان رغبة أمها.

عند ذلك قال الأب: تعالى يا سارة، ودعينا نتمشى تحت الشجر بعض الشيء، وأمسك بيدها، كما كانت تحب ذلك قديمًا، وراحا يتمشيان معًا. قالت سارة سائلة والدها: إن الناس يقولون إنك انتحرت. قال الأب: نعم أنا قضيت على حياتى بنفسى ولكن لى حياة أخرى لم أقض عليها(*). ثم سألته سارة: وكيف حالك الآن؟ قال لها: أنت تعرفين إن حالتى سابقًا كانت سيئة، واعترت وجهه ظلمة، لم تعرف سارة مصدرها هل هو ظل الشجر أو شيء آخر؟!

واستطرد الأب قائلا: إن حالتى فى الدنيا كانت صعبة وسيئة، حتى إنه لم يستطع أحد مساعدتى. لهذا فإن حالتى هنا أفضل بكثير. لقد كانت أمنيتى فى الحياة الأولى أن أتعلم، ولكننى لم أستطع تحقيق هذه الأمنية، لأن والدى كانا فقيرين، وكان على أن أترك المدرسة وأعمل كما كان هما يعملان أيضًا. أما الآن فأنا فى حياتى هذه، أتعلم أشياء كثيرة فى وقت واحد بل قولي: إن الوقت هنا لا يحتسب مثل الوقت فى الحياة الدنيا.

لم تفهم سارة ما قاله الوالد، ولكنها سألته: ألا تفتقدنى، ألستَ حزينًا لعدم وجودى معك؟ قال لها: أنت موجودة معى، وأنا موجود

(*) فكرة الانتحار وإنهاء الحياة عند المرض أو التعرض للمشاكل الأخرى هى فكرة محرمة ومذمومة فى جميع الديانات السماوية . كما لا يجب على المرء أن ينهى بيده ما بدأه المولى عز وجل.
كما لا يجب على المرء أن يرفض هبة المولى له ألا وهى الحياة (المترجم)

معك، والوقت هنا غير موجود؛ فأنا مثلك تمامًا لم أولد ولم أمت. فى الواقع إن كـــل ما حدث هذا ما هو إلا فى خيال سارة. إن والدها لم يكن بجوارها ولم يتحدث معها، وإنما كانت تتخيل كل هذا مع نفسها. وأرادت أن تستمتع بكل هذا فترة أطول، لهذا ظلت صامتة من دون حركة فى مكانها، مبتسمة تنصت إلى حديثها مع نفسها، حتى جاء سرب من الطير، وحط فوق فرع الشجرة التى تعلوها، وسأل صوت الأب سارة: ألم يحدث ذات مرة أن اصطدم طائر بآخر، أو أن حـــط طائر على فـــرع شجرة يمتلكه طائر آخر؟

إن سرب الطيور يبدو من بعيد، وكأنه ممتزج ببعضه البعض، وكأنه لا يعرف النظام، ولكن الحقيقة تقول: إن كل طائر يعرف النظام، وبداخله نظام دقيق لا يخطئه.

لقد رأت سارة ما رأته قبل ذلك مئات المرات؛ طيور وأشجار وضوء شمس، ولكن سارة ترى هذه الأشياء اليوم بعيون أخرى وفهم أعمق وبشفافية أكثر.

وتسأل سارة خيال الأب فى داخلها قائلة: هل هناك أسرار أعمق من هذا الذى أراه؟ ويجيب الأب غير الموجود، بنعم. لقد شعرت بأفكار الأب: حبه وكرهه وشعوره بأن كل شيء لديه سواء. كما شعرت بأن الأب له حياتان، حياة خاصة به، وحياة يحياها معها، هى

ابنته، وهذا قد أعجبها كثيرًا. ثم راحت أجراس الكنيسة تدق من حولها، وشعرت سارة بأن الحجر الجرانيتى أسفل منها قد غدا باردًا حيث غابت الشمس، ونهضت سارة من مجلسها، ونظرت إلى الأشجار حولها، شاكرة لها، وهمت بالذهاب إلى منزلها.

تمت

٢١ـ الشعور الطيب

يجرى نهر الألب فى مدينة كانت ذات يوم من أجمل مدن أوروبا، وكان يطلق عليها زهرة الألب. وفى ذات ليلة كئيبة من ليالى فبراير، ماتت المدينة تحت نيران القنابل الحارقة. ولكن كان موت هذه المدينة الجميلة، ليس كموت البشر، كان موتها مثل موت حقول الزهور.

فى البداية تذبل وتبدو قاحلة، لا حياة فيها، وبالتدريج تزهر وتنمو مرة أخرى، ويظهر جمالها، وهكذا كان الحال فى مدينة دريسدن البائسة الجميلة. ولكن المدينة استغرقت وقتاً أطول من الوقت الذى يستغرقه حقل الزهور، لكى تنمو وتزهر من جديد.

وفى ذات يوم وقف تلاميذ الفصل الثامن الدراسى فى متحف لوحات دريسدن، بعد أن تم إخراجها من مخابئها تحت الأرض، ورمم المبنى من جديد. عند ذلك سألت المدرسة التلاميذ: ما أجمل لوحة حازت على إعجابكم أكثر؟ فصاحت كلاوديا مجيبة: هى لوحة جوجان، فهى توحى بالشعور الطيب. فضحك التلاميذ عند سماعهم هذا من كلاوديا. سألت المدرسة كلاوديا مرة أخرى، وقالت لها: لا بد أن تذكرى لى أسباب ارتياحك لهذه اللوحة. أجابت كلاوديا إننى عندما

أكون لدى شعور طيب نحو لوحة ما، فإننى أستطيع تأملها أكثر وأقترب منها أكثر.

وعندما دققت كلاوديا النظر فى اللوحة قالت: ما هؤلاء الفتيات اللاتى فى اللوحة، إنهن يبدين غرائب الشكل! عندما حققت فى اللوحة أكثر، لاحظت مدى حرارة الجو من اللوحة، عندئذ انتابها الشعور بأنها تود أن تسير حافية القدمين مثل الفتيات فى هذه اللوحة. إننى أشعر بأن هؤلاء الفتيات صديقاتى، وأنا صديقة لهن.

إنهن يجلسن فى سلام واسترخاء، حول اعناقهن إشاربات من الحرير. لقد قام الفنان بول جوجان بالتعبير عنهن ببراعة وإتقان. كما أعجبنى فى اللوحة هاتان الورقتان الحمراوان فى الخلف من اللوحة، وهاتان الورقتان تعبران عن الشجرة بأكملها. عندما سمع باقى التلاميذ تعليقات كلاوديا هذه، كفوا عن الضحك وراحوا يستمعون باهتمام. وعند الخروج من المتحف سألت إحدى الصديقات كلاوديا قائلة: من أين عرفت كل هذه المعلومات؟ أجابت كلاوديا: من أمى، فهى دومًا تحدثنى عن الفن. فقالت لها صديقتها: كيف ذلك، وأمك قد ماتت منذ زمن بعيد، ولم تكن هذه اللوحة قد علقت هنا؟ ابتسمت كلاوديا وقالت: كيف أشرح لها هذا، حيث إننى كنت على علاقة خاصة جدًا بأمى، تفوق كل حدود الزمان والمكان. إن أم كلاوديا كانت رسامة هاوية وفى الوقت نفسه كانت تعمل كمدرسة، وكانت تقضى كل دقيقة فراغ من وقتها فى الرسم مع بناتها الثلاث.

إن الأم كانت تنفق كل ما تبقى من مصروفها على اللوحات والألوان، وكان الأب كثيرًا ما يعترض على هذا، ولكن عندما يأتى المساء وينظر إلى الفنانات الأربع، وهن يرسمن اللوحات الجميلة، كان ينتابه الفخر والسرور بهن. لقد كانت الأم تشرح لنا الحياة والمشاعر الإنسانية والواجبات الحياتية، التى تنتظر كل فرد فى الحياة، وكذلك الرغبات الإنسانية، عن طريق الألوان.

لقد كانت الأم تحدثنا عن الألوان، وكأنها تتحدث عن شخوص. فعلى سبيل المثال، كانت أمى تقول لنا: إن اللون الأخضر هو طفل وليد، للونين الأزرق والأصفر. كما أن اللونين الأخضر والأحمر يكمل كل منهما الآخر، وينسجم معه. كما كانت الأم تعلم بناتها أن يستعملن خيالهن، حتى يستطعن التفرقة بين الألوان، عندما تنظر إحداهن لفترة طويلة فى اللون الأخضر، وفجأة تتحول بنظرها إلى اللون الأحمر.

فى الشتاء كانت الأم تلون المنازل باللون الرمادى الغامق، والجليد تعطيه لونًا مائلاً للزرقة. إن جميع طبقات اللون الرمادى كانت جميلة، وكنت أحبها، وكانت كل طبقة من طبقات هذا اللون تختلف عن الأخرى. السكون والأحزان علمتهما الأم لبناتها عن طريق الألوان، وكذلك الرغبات الجامحة التى تختفى فى المنازل، ذات اللون الرمادى الداكن، والتى تحتوى بداخلها أطفالاً يرتدون الطواقى الحمراء، ذات الحلية من أعلى. أما فى الصيف، فإن الأم اصطحبت بناتها إلى شاطئ الألب، وقمن برسم جميع الورود والأزهار التى كانت تنمو على

الشاطئ، سواء كانت ورودًا أو البنفسج أو زهور الخشخاش أو زهرة غطاء الإصبع. وفى المنزل راحت الأم تعرض على بناتها الصغار، لوحات لفنانين قاموا برسم هذه الــزهور قبل ذلك، أمثــال فنسنت وأميل وجابرييل. كما أن الأم علمت بناتها أنه لا يجب عليهن رسم كل ما يرون من المنظر.

ففى بعض الأحيان، يكفى لهن أن يقمن برسم جزء معبر من المنظر الذى يرونه. فعلى سبيل المثال، عند رسم زهرة غطاء الإصبع، ليس من الضرورى رسم الزهرة والفرع بالكامل. بل يكفى أن يرسم الفرد الزهرة بأوراقها ويتركها، وكأنها تتدلى من أعلى إلى أسفل. ثم الزهرة ترسم من الخارج، حتى إن الناظر إليها يهيأ إليه، وكأنه يشتم عبيرها. أما إيرينة الأخت الصغرى لكلاوديا، فكان الرسم صعبًا عليها، وعندما كانت ترسم زهرة، كان دائمًا ما يبدو فرع الزهرة عندها ضخمًا وقبيحًا.

إن الأخت الكبرى زابينة كانت تقول دائمًا: إن أختها إيرينو لا تزال صغيرة وغبية، كى تتعلم الرسم. ولكن الأم كان لها رأى آخر، وهو أن سن الطفولة الصغيرة هى أنسب الأعمار للتعلم. أما رأى إيرينة، فيقول: إن فرع الزهرة الضخم يعبر عن القوة والثبات. ثم أرت الأم لإرينة لوحات لفنانين ينتمون إلى فترة الفن التعبيرى، وهؤلاء الفنانون يطلق عليهم التعبيريون.

إن الفتيات الثلاث لم يكن يتصورن الحياة من دون ألوان أو رسوم. إن كل هذه الأشياء كانت بالنسبة للفتيات الثلاث أهم الأشياء فى حياتهن. ولكن ذات يوم مرضت الأم مرضًا شديدًا، لم تستطع معه، لا الذهاب إلى المدرسة، ولا الذهاب إلى ضفاف نهر الألب.

ثم انتقلت الأم إلى المستشفى، ومنه عادت إلى البيت ولكنها لم تبق فى البيت طويلاً. لحسن الحظ كان الأب فى البيت، ولكن كيف استطاع الأب أن يعوض البنات الثلاث عن غياب الأم وآلام الفراق. لم تنس الفتيات الثلاث هذا الموقف من حياتهن، عندما جلسن حول سرير الأم. وقالت لهن الأم وهى تجاهد المرض والإرهاق: "إننى سأموت" ونظرت الفتيات الثلاث بعيون مفزوعة خائفة إلى الأم، لقد كانت الفتيات آنذاك فى السادسة والثامنة والثانية عشرة. لقد سمعن هذا الخبر من الأم، ولكنهن لم يفهمن مغزى هذه الجملة، وما سيترتب عليها من عواقب.

ثم أكملت الأم قائلة: "ليس معنى أننى سأموت، إننى لن أراكم، كلا، بل سوف أكون دائمًا معكم، حتى وإن لم ترونى، ولم تسمعونى". ثم سألت زابينة قائلة: كيف لنا إذن أن نشعر بوجودك يا أمي؟ فأجابت الأم: هل تتذكرن يوم أن رسمنا الوردة، كيف كان شعوركم عندئذ؟ أجابت كلاوديا: لقد انتابنى شعور بالدفء، وقالت إيرينة وأنا كذلك، حيث إننى حصلت فى ذلك اليوم على علبة ألوان جديدة.

ثم قالت زابينة تمامًا، عندما مزجت الأصفر بالوردى، فوق الورق المبلل، ونتجت عن ذلك وردة جميلة، لقد كان ذلك مثل إشراق الصباح وفرحته. ثم استطردت الأم قائلة: "نعم، هكذا كما وصفتم ستشعرون بى وسوف يكون وجودى بينكم. عنـــدما ترون لوحة جميلة أو زهرة جميلة أو تنظرون إلى السماء بغيومها أو ترون الجليد عندما يترك آثاره على جدران المنازل، سأكون أنا هنا فى كل هذه الأماكن، أحيى كل واحدة منكن، نعم سوف لن ترونى ولن تسمعونى، ولكنكن سوف تشعرن بى وأعدكن بهذا" شخص نادرًا ما كان على فراش الموت، يعد بشيء فى العادة، فإن الأحياء هم الذين يقدمون الوعود.

لقد فهمت زابينة وكلاوديا ما كانت الأم تعنيه، أما إيرينة الصغيرة، فلم تفهم، ولكنه كانت تعتمل فى صدرها مشاعر جميلة، مشاعر، وكأنها فى عيد، قد يكون عيد ميلاد مثلاً، لقد شعرت بالسعادة واقتربت من أمها واحتضنتها. فى هذه الليلة باتت الفتيات الثلاث فى غرفة نوم أمهن، وعندما استيقظن فى الصباح، كانت الأم قد فارقت الحياة.

وتحدثت الفتيات مع أبيهن عن مشاعرهن، وهن يزين نعش الأم بالورود. هذه المشاعر الجميلة التى حدثتهن الأم عنها، تنتاب الفتيات الثلاث دومًا وفى كثير من الأحيان، عندما يقفن أمام حقل زهرة الخشخاش الأحمر مثلاً. عندئذ تنتابهن مشاعر دافئة، منبعثة من القلب،

فتنظر كل فتاة منهن إلى أختها ويتبادلن الابتسامات، لأنهن يعلمن لوحدهن مغزى هذه المشاعر، كما وعدتهن أمهن.

تمت

٢٢ـ أين تذهب الشمس عندما تغيب؟

اليوم بكت أم الطفلة مونى فى الصباح، عندما أحضرت سونى إلى الحضانة. عندئذ راحت الطفلة سونيا تجذب المربية من جيبها وتقول لها: لماذا بكت أم سونى يا سيدة برجر؟ وأخذت المربية تعلق المرايل والبلاطى الخاصة بالأطفال على الشماعات فى غرفة تغيير الملابس. وأردفت سونيا الصغيرة، قائلة للمربية: إننى كنت دومًا أعتقد أن الكبار لا يبكون! ثم أمسكت المربية برجر الطفلة سونيا من يدها، وذهبت بها إلى غرفة الألعاب.

إن هذا اليوم كان غريبًا منذ البداية. فى خارج الحضانة كان الطقس سيئًا، وفى داخل الحضانة كانت الأحوال أيضًا سيئة. بعض الأطفال راح يلهو ويلعب، والبعض الآخر جالس منتظر حدوث شيء ما. أما مونى، فقد جلست على مقعدها صامتة، لا تلعب، وبدت وكأنها تشبه الدمية فوق المقعد. فى العادة، فإن مونى طفلة مرحة، وتحب اللعب مع الأطفال الآخرين. وسألت سونيا قائلة: إذا لم يفهم أحد شيئًا، فهل سيبقى صامتًا؟ عند ذلك ذهبت السيدة برجر نحو مونى، وحملتها على رجليها وقالت لها: إن بقية الأطفال يريدون أن يعرفوا لماذا أنت

حزينة هكذا؟ ولكن مونى لم تجب، وراحت تحدق فى اللاشيء. عند ذلك قالت سونيا: تعالى نحن نلعب واتركيها، إنها لا تريد أن تتحدث.

ثم راحت السيدة برجر تهدهد مونى، كى تعرف منها سبب حزنها وسكوتها. ثم جاء جيدو، وأمسك بيد مونى وقال لها: نحن أصدقاء، دعينى أساعدك من فضلك. نظرت مونى للحظة ثم قالت له: إن جدتى قد ذهبت إلى الأبد ولن تعود. لقد كانت مونى تعيش مع جدتها هذه فى منزل واحد، ولم يفهم الأطفال ذلك، وراحوا يتساءلون قائلين: أين ذهبت إذن الجدة، ولماذا لن تعود ثانية؟ وعندما سمعت سونيا ذلك من مونى قالت لها: إن هذا شيء غير جميل من جدتك، أن تتركك هكذا لوحدك، خاصة عندما تذهب أمك للعمل. ولم تستطع مونى الإجابة عن أسئلة الأطفال.

عند ذلك جاءت السيدة برجر المربية إلى مونى لمساعدتها، وقالت لسونيا: إن جدة مونى كانت مريضة منذ فترة طويلة، ولم تذهب هكذا طواعية، إنما هى الآن قد ماتت. وقال الطفل أولى "حتى دى كمان"؟ قالت المربية لأولى: ماذا تعنى بذلك يا أولى؟ قال أولى: أعنى بذلك أن البارحة ماتت عصفورتى أيضًا.

لقد توقف الآن الأطفال عن اللعب وتحلقوا حول مونى والمربية، وهم ينظرون، محاولين أن يفهموا ما يدور. عند ذلك قال ريكاردو: إذن، فقد صعد هما الاثنتان إلى السماء، وأصبحتا ملاكين: العصفورة والجدة.

ونظرت مونى إلى المربية متسائلة: "هل تستطيع جدتى الطيران يا سيدة برجر؟؟ ولكى تجيب السيدة برجر عن السؤال، أخذت جميع الأطفال إلى ركن هادئ وقالت لموني: والآن يا مونى احكِ لنا عن جدتك بعض الحكايات.

وراحــت مــونى الطفلة تقــول: إن جدتى كانت دائمًا ما تعمل لى كاكاو أو أعشابًا بالعسل. إن جدتى كانت بارعة فى عمل فطائر التفاح، وكذلك الخبز. لقد سمحت لى بأن أخبز معها، وأساعدها، وكنت أحيانا آكل قطعة من العجين الحلو، قبل أن تضعه جدتى فى الفرن، وكانت دومًا تمزح معى، وتقول لي: أيتها القطة الصغيرة المفترسة.

عند ذلك ضحك أولى لسماعه كلمة القطة المفترسة، وقال: هل كانت جدتك تضربك؟ قالت: لا، لم تفعل، بل كانت دائمًا تمازحنى، ولكنها لم تسمح لى بأن أسكب الأشياء، وكانت تقول لي: لا تفسدى نعمة الله علينا. كما أن جدتى لم تسمح لى بأن ألقى بالنقود فى القمامة أو فى الشارع. ثم يرد جيدو متسائلا: هل كانت لها كلمات جميلة فى هذا المعنى؟ أجابت مونى: نعم كانت دومًا تقول: "من لا يعرف للقرش قدره، فلن يحصل على الجنيه" .

وضحك الأطفال، وسألت السيدة برجر: هل تعرفون معنى كلمة تاللر؟ قال شتيفان إنه الاسم القديم لكلمة مارك. قالت المربية: وماذا أيضا؟ قال شتيفان إنه سمع كلمة تاللر فى أغنية عنوانها "التاللر الرحال". ثم سألت المربية موني: وماذا تعلمتِ من جدتك يا موني؟

قالت مونى، وقد احمرت وجنتاها: إن جدتى قد علمتنى كيف أغزل الصوف، وأشارت إلى البلوفر الذى ترتديه وقالت: إن هذا البلوفر قد غزلته لى جدتى، كما أنها أهدتنى مخيطًا كى أقوم بنفسى بغزل ملابسى.

ثم سألت سونيا مونى قائلة: كيف علمتك هذا؟ وقالت أوتاهل: كان لها أيضا كلمات جميلة بخصوص الغزل؟ وأجابت مونى قائلة: لا لم تكن لها أمثال بخصوص الغزل، ولكنها كانت تغنى وهى تغزل، وكان صوتها فى الغناء شجيًا مؤثرًا. وضحكت مونى قليلاً، عندما تذكرت غناء جدتها وصوتها المتكسر.

وراح الأطفال يرجون مونى أن تغنى لهم بعض الأغانى التى كانت الجدة تغنيها. عند ذلك بدأت مونى تغنى لهم بصوت منخفض أغنية الفتاة وخيط الغزل، الذى يبلغ طوله مائة ذراع. أعجب الأطفال بأغنية مونى، حتى إنهم بدأوا فى حفظ كلمات الأغنية. كما أراد الأطفال أن يتعلموا من مونى أن يغزلوا ملابسهم بأنفسهم مثلها.

ثم سأل ريكاردو قائلا: ما مخيط الغزل؟ أجابت موني: هو شيء من الخشب فى أعلاه الصوف أو المادة المراد غزلها، ومن أسفل يخرج منه المغزول، ثم قالت سونيا: من الأفضل لك أن تحضر

المخيط الخاص بك، وسوف تقوم مونى بشرح ذلك لك. وأكملت المربية قائلة: إن مونى تعلمت الكثير من جدتها.

فأجاب ألوى ممازحا: إن مونى تستطيع من الآن أن تقوم بدور الجدة، وصاح بقية الأطفال يضحكون. أما جيدو الذى كان مستغرقًا فى التفكير طوال الوقت، فقد قال: فى الواقع إن جدة مونى لا تزال عائشة بيننا. وفكر التلاميذ فيما سمعوه من جيدو وقالوا: ولكن يا سيدة برجر، قولى لنا من فضلك، أين جدة مونى الآن؟ ثم فكرت السيدة برجر، للحظة، وقالت: فى الحقيقة يا أبنائى، إن جدة مونى تمامًا مثل الشمس عندما تختفى خلف الأشجار، وتغيب وتصبح الدنيا عندنا ظلامًا، فإنها تشرق فى الوقت نفسه، فى بلاد أخرى وتنيرها، ويكون فى هذه البلاد صبح جديد.

تمت

٢٣ـ الجدة نائمة فى قلب الشجرة

كانت الجدة راقدة فى سريرها، مريضة مرضا شديدا، بجوارها جلست ابنتها، وهى ممسكة بيدها الساخنة من شدة الحمى. أما الطفلة آنا الصغيرة، فقد راحت تلاحظ وترقب السيدتين بعينين قلقتين، أمها وجدتها.

وقالت الجدة بصوت خفيض مريض: "إننى أخاف الموت". وتعجبت الأم، عندما سمعت ذلك، لأنها تعرف جيدًا أن أمها امرأة متدينة، وذكية، وشجاعة. ردت الأم قائلة: لا تخافى، سوف تعودين إلى بيتك سالمة، وسوف ترين كل أحبائك ثانية، وأنت معافاة صحيحة. أجابت الجدة بقولها: لا أريد أن أعود إلى المنزل مرة أخرى، فلا أدرى ماذا سيقولون عنى فى البيت.

وفهمت الأم ما تقصده الجدة، حيث إنها كانت تعلم أن هناك بعض الخلافات فى البيت بهذا الشأن. قالت الأم للجدة: إن الله محبة، وسوف يكون كل شيء جميلاً، وعلى ما يرام. أجابت الجدة: كيف تعلمين هذا. إنك لم تموتى قبل ذلك، حتى تقولى هذا. أما آنا التى كانت تجلس فوق الكومودينو، وتراقب كل شىء، فقد أصبحت قلقة. وقالت

لنفسيا: إن الذين يموتون، يكونون فى العادة أناسًا طيبين، حتى الأم بدت مرتبكة.

لقد حاولت الأم أن تعطى الجدة بعض الأعشاب السائلة فى فمها بملعقة الشاى، ولكن الجدة كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة شديدة. الأم تحاول أن تفعل شيئًا للجدة. وقالت الأم فجأة: إنه الصيف، تتذكرين أنواع الورود التى تنمو فى الحديقة أمام المنزل؟ هكذا سألت الجدة. أجابت الأم قائلة: الآن تزهر زهور الحديقة المعتادة ذات الألوان الذهبية، والتى تكون ذات رائحة نفاذة، كما تزهر الآن الزهور التى قمت بزراعتها أنت فى الربيع، كذلك الكاركاديه والخشخاش، وبقية الأنواع الأخرى التى تحبينها. عندئذ هدأت الجدة وقالت لابنتها: أكملى حديثك، إننى أسمع.

ثم أمسكت الأم بيد الجدة التى كانت صغيرة وضعيفة، مثل يد طفل صغير.

ثم قالت الأم للجدة: عندما تعودين للمنزل، سوف ترين كل هذه الزهور خلف المنزل وفى الحديقة، وبصفة خاصة، تلك الزهور التى تكون زهورها فى الخريف كبيرة. كذلك سترين الورود ذات الأوراق الملتفة حول تاج ذهبى، والتى جمعنا زهورها وجففناها ذات مرة، وعملنا منها ألبومًا للأشعار الجميلة.

وبالطبع، سترين العديد من الزهور الأخرى مثل جلوريادای، والأمير هاينرش، وكذلك زهور العقاق الأبيض. أما زهور الشاى الصفراء التى تتدلى رؤوسها، كانت تبدو لى دائمًا مثل الحوريات الجميلات، وكان لها عبير يشبه رائحة الليمون. نامت الجدة وذهبت الأم مع ابنتها آنا إلى المطبخ لعمل براد من الأعشاب وتناول بعض الأطعمة. قالت آنا للأم: إن الموت لشىء صعب.

فأجابت الأم: لا أعتقد أن الموت أصعب من الحياة. ذهبت آنا بعد ذلك إلى سريرها كى تنام، وتركت باب غرفة نومها مفتوحًا. أما الأم، فقد ذهبت إلى غرفة الجدة التى كانت استيقظت مرة أخرى، فأعطتها الأم فنجانًا من الأعشاب، وأخذت تكمل حديثها عن زهور الكليماتس، التى كانت تحتوى على أوراق مختلفة الألوان؛ منها ما هو أبيض وما هو أحمر وما هو بنفسجى اللون.

لقد كانت تنمو هذه الزهرة وترتفع أفرعها، حتى تصل إلى نافذة الدور الأرضى. كما أنها كانت تفتح أوراقها وتغلقها مع شروق وغياب الشمس، كما لو أنها أرادت أن تخبرنا بالمواعيد. إن النحل والدبابير تتجمع دائمًا حول هذه الزهرة، حتى إننا كنا نسمع معزوفات من طنين هذه الحشرات. كذلك كانت هناك أفرع الياسمين التى كانت تزهر مع ميعاد عيد ميلادك.

إنك تعرفين هذا بالطبع. أما الآن، فإن أمام المنزل زهور شجرة الكريز بألوانها الحمراء، وقمنا بعمل عقود من هذه الزهور. تنهدت الجدة، وهى تحاول أن تلتقط أنفاسها. وضعت الأم يد الجدة على صدرها، وراحت تغنى لها الأغانى التى كانت الجدة تحبها، ودائمًا ما تسمعها.

كلمات الأغنية تقول: جاء الفارس ممتطيًا جواده، والريح يداعب شعره. أخبرنى هل ما زلت تحبنى يا حبيب القلب؟ ثم قبل كل حبيب حبيبته، بينما كان الوقت يميل إلى الدفء، الورود تزهر وتنمو...!!

ابتسمت الجدة ابتسامة شاحبة عند سماعها كلمات الأغنية، وأصبحت أنفاسها أكثر هدوءًا وضعفًا. وتوغل الليل فى الإظلام، والنجوم تزداد سطوعًا فى السماء، والقمر يظهر ويختفى، والأم جالسة بجوار سرير الجدة، التى هى أمها. ثم صاحت آنا الحفيدة: انظرى يا أمى، إن جدتى ترقد فى قلب الشجرة.

ونظرت الأم إلى الخارج. كانت الدنيا ما زالت مظلمة، ولكن الطيور راحت تصوصو، وفى زجاج النافذة ظهرت صورة الجدة منعكسة، وكأنها نائمة فى وسط أوراق الشجرة بسريرها، الذى راحت تهدهده نسمات الصباح.

وأمسكت الأم بيد أمها، التى صارت الآن باردة بلا حياة، ولم تعد الجدة تبحث عن هواء للتنفس، بل إنها لم تعد تتنفس بالمرة. وقالت

الطفلة آنا لأمها: "أمى عندما تموتين سوف أمسك بيدك تمامًا مثلما تفعلين مع جدتى"، ثم احتضنت الطفلة أمها، وراحتا تنظران معًا، كيف أن الشمس راحت تشرق رويدًا رويدًا، وتملأ الأفق البعيد بلون ذهبى، وكلما ارتفعت الشمس فى السماء، كانت تبهت صورة الجدة المنعكسة على زجاج النافذة، حتى اختفت صورة الجدة تمامًا من زجاج النافذة، مع اكتمال شروق الشمس.

تمت

٢٤ـ حكايات الحيوانات السبعة

سأل الطبيب الطفل بنى الصغير، الذى جلس أمامه مصفر الوجه قائلاً: ماذا بك يا بني؟ أجاب بني: لا أدرى! وعندما نظر الطبيب إلى الأم قالت: إنه لا ينام أبدًا، ربما تكتب له منومًا حتى يستطيع النوم. ونظر الطبيب مرة أخرى إلى بنى الذى قــال بصوته الطفولـــى الـــرفيع، والذى يشبه صوصوة العصافير: نعم أنا لا أستطيع النوم.

وعندما سأل الطبيب: هل لا تنام إطلاقًا؟ أجابت الأم: إنه بعد طول سهر، ينام سويعات قليلة بالليل، حتى إننى عندما أعود من عملى بالليل متأخرة، أجده مستيقظًا، وتخبرنى المربية أنه يبكى ويتقلب كثيرًا فى سريره. ووافق بنى على كلام والدته بإيماءة من رأسه. ثم سأل الطبيب: منذ متى يحدث هذا؟ أجابت الأم: منذ شهرين تحديدًا، بعد وفاة جده، قبل هذا الحدث، كان ينام طبيعيًا. وأردف بنى قائلا: إن جدى كـــان يحكى لـــى حكـــايات جميلة كل يوم، مليئة بالخبرات الطويلة التى عاشها.

والآن بعد وفاة جدى لا يحكى لى أحد حكايات مثل جدى. وأدركت الأم فى هذه اللحظة، علاقة موت الجد بعدم نوم بنى. ثم سأل الطبيب بنى قائلا: هل تستطيع يا بنى أن تتخيل أن أمك جدة، وأنك أنت رجل كبير، مسئول عن أسرة؟ فهز بنى رأسه بالنفى. ثم سأل الطبيب مجددًا: هل لك أن تتخيل أنك أنت جد، ولك أحفاد، وأنك سوف تقص عليهم حكايات جميلة؟ ضحك بنى وقال: ولكننى إلى الآن ليس لى حفيد.

قال الطبيب: نعم، ولكنك كل يوم ستصبح أكبر، وذات يوم ستكون أنت جدًا وتعرف الكثير الذى سوف تحكيه لأحفادك. ثم أطرق بنى برأسه يفكر، وقال: هل سوف أتعلم هذه الحكايات هكذا لوحدي؟ أجاب الطبيب: لا بل لا بد وأن تقرأ كثيرًا حتى تستطيع أن تتعلم هذه الحكايات. عند ذلك سألت الأم الطبيب عن مادة منومة لطفلها، لأن ليس لديها وقت، ولا بد أن تذهب للعمل. أجاب الطبيب: لا، بل إن لدى حلاً أفضل من المنومات، وهو أننى سأهدى بنى سبعة ألعاب فى شكل حيوانات من الكاوتشوك الطرى. والآن يا بنى عليك أن تختار هذه الحيوانات السبعة بنفسك من الصندوق، فوق المنضدة هناك. إن هذه الدمى سوف تساعده على النوم من دون برشام. وفى الوقت الذى راح فيه الطفل بنى يختار الحيوانات السبعة، أخذ الطبيب يشرح للأم طريقة العلاج هذه، لكى يهدئ من روعها، وتفهم طريقة العلاج أيضًا.

ثم قال الطبيب لبني: إن هذه الحيوانات لا تستطيع النوم لأن أحدًا لا يحكى لها حكايات قبل النوم، لذلك عليك أن تضع كل يوم واحـــدًا فى حقيبتك، وبالمساء عليك أنت، أن تحكى لهذا الحيوان كل ما قمت بعمله طوال اليوم. وعندما تحكى لهذه الحيوانات السبعة الحكايات على مدى سبعة أيام، أرجو أن تزورنى مرة أخرى. وراح الطفل بنى يعد الحيوانات التى اختارها، وهى آيل وأسد وفأر وقرد وغراب وأرنب وقنفذ.

فى اليوم التالى، خرج بنى يبحث عن أحد يلعب معه أو يحكى له حكاية، فلم يجد سوى السيد باولى، وهو يقطع الأخشاب التى يستخدمها للتدفئة. فسأله بنى قائلا: سيد باولى هل تعرف الآيل؟ قال السيد باولى نعم أعرفه. ثم سأله بنى: أين توجد هذه الآيائل؟ فأجاب السيد باولى: إنها لا توجد فى بلدنا هنا، وإنما توجد فى بولندا وكندا.

ثم سأل بنى: هل هذه الحيوانات ضخمة؟ قال السيد باولي: نعم، إنها ضخمة يزن الواحد منها حوالى ٤٠٠ كيلو جرام، وقرونها لوحدها تزن ٢٠ كيلو جرامًا. ثـــم سأل بنى: هــل هذه الحيوانـــات تأكل اللحوم؟ قال السيد باولى: لا إنها تأكل حشائش فقط وأوراقًا خضراء، وهى تعيش فى المستنقعات الطينية. وهى تقطع أوراق الأشجار وأفرعها بشفتها العليا القوية.

فأجاب بنى: إن هذه الحيوانات لها شفة عليا قوية تمامًا، مثلك أنت يا سيد باولى. عند ذلك ضحك السيد باولى من تعليق الطفل. ثم سأل السيد باولى بنى قائلا: هل تدرى كيف تبدو الآيائل؟ عند ذلك أخرج بنى دميته من حقيبته وأراها للسيد باولى. ثم سأل السيد باولى بنى قائلاً: هل تعرف اسم صغير الآيل؟ قال بنى: لا أعرف، فأجاب السيد باولي: إن اسمه "بطش" ثم يبدأ تنمو له قرون فى العامين الثانى والثالث، فيطلق عليه المهماز. وفى عامه الرابع، عندما تنمو قرونه أكثر، تشبه قرون شوكة الطعام، وفى عامه الخامس، عندما تنمو قرونه أكثر، يطلق عليها اسم الجاروف، لأنها تشبه الجاروف. ثم تسمى قرونه بعد ذلك المغرفة، ثم المغـــرفة الجيدة، وذلك عندمـــا تصبح قـــرونه تمامًا مثل المغرفة الكبيرة التى تشبه الكراكة.

ولكننى أعتقد أنك لا تستطيع حفظ كل هذا. ولكن بنى استطاع أن يحفظ كل ما سمعه من السيد باولى. عند ذلك راح السيد باولى، يمتدحه بقوله: إنك فتى بارع، إنك ستصبح رجل غابات ماهرًا. عند ذلك قال بني: لا بل أريد أن أكون كاتب أطفال. فأجابه السيد باولى قائلاً: إنك لن تستطيع أن تشترى من هذا العمل خبزًا. ثم بعد ذلك شكر بنى السيد باولى على المعلومات، التى سمعها منه عن الآيائل، وذهب مسرعًا إلى منزله.

وفى المساء وضع بنى جميع حيواناته على السرير، وراح يحكى لها بالتفصيل الدقيق كل ما عايشه فى يومه، وفى الصباح التالى

لم يدر بنى من نام أولاً، أهو أم دميته الآيل؟ كما أنه فى الصباح طلب من أمه بعض الحشائش أو الخضراوات، لكى يقدمها كإفطار لصديقه الآيل. وتعجبت الأم أن السيد باولى قد تحدث كثيرًا مع ابنها، وأعطاه الكثير من المعلومات عن هذا الحيوان.

وفى اليوم التالى أحضر بنى الأسد والفأر معًا وراح يحكى لهما حكاية طريفة، قد سمعها من والدته التى تعلمتها من فترة طفولتها فى المدرسة. عند ذلك راح بنى يقول: ذات يوم كان الأسد نائمًا فى الشمس، وفى لحظة سقطت فوقه فأرة صغيرة من فوق السور، بالرغم من أن والدتها قد حذرتها من تسلق هذا السور.

لسوء حظ الفأرة الصغيرة، أنها وقعت بين مخالب الأسد. عند ذلك جحظ الأسد بعينيه الكبيرتين غاضبا، فارتعشت الفأرة الصغيرة خائفة، ورجته أن يتركها وشأنها، وسوف لن تكرر ذلك مرة أخرى، بل إنها وعدته أن تساعده فى وقت الشدة. عندما سمع الأسد ذلك ضحك ساخرًا وترك الفأرة تجرى فى سبيلها، وقال: حتى وإن أكلتك، فلن أشبع، فأنت صغيرة.

مرت الأيام وراح الأسد يتريض دون حذر، حتى سقط فى شبكة الصياد، والتفت الحبال حوله، ولم يستطع لنفسه فكاكًا. ويأس الأسد من أن يخلص نفسه من شباك الصياد، حتى جاءت الفأرة الصغيرة مسرعة، وراحت تقرض الحبال واحدًا تلو الآخر بأسنانها الحادة، حتى

قطعتها وخرج الأسد منها سليمًا. عندئذ ندم الأسد أن سخر ذات يوم من هذه الفأرة الصغيرة، وصارا صديقين حتى يومنا هذا.

في صباح اليوم التالى لم يكن بنى يعرف متى استغرق فى النوم، حيث إنه سأل الأسد قائلا: أين توقفت البارحة فى حكايتى؟ ولكن صديقه الأسد لم يكن هو الآخر يعرف، لأنه كان قد نام. فى اليوم التالى أخذ بنى الأرنب والقنفذ معًا، وذلك حيث إن الاثنين كانا صديقين. بعد مرور سبعة أيام، اصطحب بنى أمه وذهبا إلى طبيب الأطفال، ليس لأنه لا يستطيع النوم، ولكنه لكى يحصل من الطبيب على سبعة ألعاب أخرى فى شكل حيوانات أخرى. ولكى يعلم عنها بعض الشيء، وذلك لكـــى يحكـــى لهـــا حكايـــات جديدة. بالمناسبة، فإن بنى نفسه هو جد، وقد حكى لى ذلك بنفسه.

تمت

٢٥ـ سفينة الحياة

آندى يصرخ ويتأوه، بينما تحاول أخته الكبرى أن تهدئه وتقول له: إنه شيء بسيط. ثم يُرى آندى أخته الكبرى كاترين إصبعه، وهو يصرخ من الألم. ثم دخلت الأم الغرفة وبرفقتها الطبيب، وهى تكاد تكون باكية. ثم تقول لها كاترين مهدئة: إنه شىء بسيط يا أمى اهدئى. ويصيح آندى: إن إصبعى يؤلمنى، إنه يدمى، ويدمى، وسوف أصعد إلى السماء تمامًا مثل مارتن. وانتاب الجميع الهلع، عندما سمعوا ذلك.

قالت الأم: لمَ تتحدث هكذا إنه لشىء صغير؟ أما الطبيب فقد أخرج مرهمًا وشاشًا من حقيبته، وقال: الآن سوف تلف إصبعك برفق بهذين المرهم والشاش، ولن يؤلمك إصبعك ثانية. ثم يسأل الطفل آندى الطبيب: هل الموت مؤلم يا دكتور؟ وأجابه الطبيب قائلا: لا يا آندى، ولكن الجروح والأمراض هى التى تؤلم.

ثــم يسأل آندى مرة أخرى: هل يتألم مارتن؟ وتجيب الأم: إننا لا نريد أن نتحدث عن مارتن الآن. ثم يستطرد آندى سائلاً: ربما مارتن، يستطيع العيش ولا يموت؟ وتقول الأم مرة أخرى: إننا يجب ألاّ نتحدث عن ذلك الآن. واغتاظ آندى الصغير، وقال: إننا لا بد دائمًا أن نصمت ولا نتكلم عن ذلك، فى حين أنك وأبى دومًا تتحدثان عن

هذا، أما نحن فلا يسمح لنا بذلك. أما الأم فقد انخرطت فى البكاء، وراحت كاترين تنظر بعينين حانرتين، وهى لا تدرى ماذا تفعل.

ثم يسأل آندى أمه، وهو خائف عليها: هل يؤلمك قلبك يا أمي؟ هل يربط لك الطبيب قلبك بمرهم وشاش؟ تحتضن الأم طفليها، وهى حزينة قائلة: إننى لا أدرى ماذا أقول لكما. إن رأسى يؤلمنى. فيرجوها الطبيب عندئذ قائلاً: إنك بحاجة إلى راحة، وعندما تستريحين سوف يزول الصداع، أما أنا فسأبقى بعض الوقت مع الطفلين هنا. أخذت كاترين أمها إلى غرفة نومها، كى تستريح الأم، ومرة ثانية يعاود آندى سؤال الطبيب قائلاً: يا دكتور، إنك لم تجب عن سؤالى الذى وجهته إليك؟ فيجيب الطبيب: إننى قد أخبرت والدتكما بالإجابة، وفى الحقيقة، فإن أخاكما مارتن لن يعيش طويلاً؛ إن دمه يحتوى على عدد كبير من كرات الدم البيضاء، ولكنه لا يعانى الآلام. إنه راقد فى غرفة مستقلة به، نظيفة جدًا ومعقمة، وذلك لأن جسمه فاقد المقاومة ولا يتحمل أى عدوى، كما لا يتحمل أى غبار أو أتربة.

ولهذا لا تستطيعون أنتم اللعب معه. لقد كانت كاترين لا تعرف شيئًا عن مرض أخيها. ثم يسأل آندى الطبيب قائلاً: هل تستطيع أنت اللعب مع أخى مارتن؟ فيجيب الطبيب: إننى عندما أعود إلى المستشفى، فسيكون مارتن قد رسم لوحة جميلة. وتقول كاترين: إن أمى معها دوسيه كبير، ملىء بالصور واللوحات التى رسمها مارتن.

ثم تستطرد بصوت خفيض قائلة: ولكنها للأسف ليست لديها أى صورة من لوحاتنا نحن. ويكمل آندى حديثه قائلاً: أمى معها حق لأننا صحيحان ولن نموتا!! ولكننى الآن لا أستطيع الرسم، أو عمل شيء، لأن إصبعى ملفوف بالشاش. ثم يقول الطبيب لكاترين: هل تستطيعين أن تأتى بعد غد مع أخيك إلى عيادتى، عندئذ، سوف أرى إصبع آندى، وفى الوقت نفسه أنتما ترسمان لوحة، سأعطيها أنا لمارتن، وأحضر لكما منه لوحة؟!! ثم أغلق الطبيب حقيبته ورجع إلى المستشفى، وهو يفكر فى أن الأمر صعب على مثل هذه الأم المسكينة ذات الطفل المريض.

أمام المستشفى كانت تنمو فى ذلك الوقت الزهور، فتوقف الطبيب برهة، واستنشق عبير الأزهار بنفس عميق قبل أن يدخل إلى الأطفال المرضى. ثم جلس إلى مارتن. عند ذلك أزاح مارتن آخر لوحاته إلى الطبيب وقال له: ماذا ترى فى هذه اللوحة يا دكتور؟ نظر الطبيب ثم قال: إننى أرى سفينة ذات شراع كبير، وبداخل الشراع تسع شرطات حمراء، ولكننى أرى أن فى الشراع مكاناً لشرطات أخرى.

قرص مارتن الطبيب قرصة خفيفة فى ذراعه وقال له: أكمل ثم ماذا؟ ويكمل الطبيب: وأرى عشرة محاربين فوق السفينة، يرتدون أدرعتهم وخوذاتهم. ثم يقول الطبيب: إننى أرى أن تسعة فقط يرتدون الدروع، والعاشر لا يرتدى درعا.

عندئذ يوضح مارتن للطبيب: إننى أكملت الأسبوع الماضى عامى التاسع، ولم يُكمل؛ لأنه يعرف أن الطبيب يفهم ما يقصده. واستطرد الطبيب قائلا: الأمواج لونها أزرق فاتح، بالرغم من عدم وجود شمس فى اللوحة.

ثم ما هذا الأبيض الدائري؛ هل هذا رياح؟ هل انتزعت هذه الرياح الدرع من المحارب العاشر؟ فهز مارتن رأسه بالإجابة، دون أن يتكلم. ثم قال الطبيب: إن السفينة جميلة؛ مثل هذه السفينة مقدمتها على هيئة رأس ثور. من الذى يستطيع تحديد وجهتها؟ فضحك مارتن، وكأنه سعيد بأنه يعرف شيئًا لم يعرفه الطبيب، فقال مارتن، موضحًا للطبيب: إن من يعرف وجهتها هذا الذى يجلس فى صندوق مثبت فى صارى أعلى الباخرة، وفى يده منظار ينظر من خلاله. قال الطبيب سائلاً مارتن: هل أنت واثق أنه يعرف وجهة السفينة. أجاب مارتن: نعم أعرف أنه يعلم ذلك. انظـر إلـى رأسه، إنـه تخرج منه سبعة أضواء؛ فهو يرى جيدًا ويفكر أيضًا جيدًا.

ثم سأل الطبيب: ومن يكون هذا؟ ضحك مارتن مرة ثانية، ولكنه ضحك دون صوت، وقال للطبيب: إن هذا هو أنت. أنت تعرف كل شيء، وتنظر فى كل شيء. فأجاب الطبيب بصوت خفيض، وهو يحدث نفسه: أعلم أنك تعرف!! ثم سأل مارتن الطبيب: هل تعجبك سفينتى؟ قال الطبيب: نعم هى جميلة. أتسمح لى بأن آخذها معى لأمك وأخوتك؟ فى الميعاد المحدد جاءت كاترين مع أخيها الصغير آندى إلى

عيادة الطبيب بالمستشفى. قالت كاترين للطبيب: لقد وضعت له على إصبعه شاشًا جديدًا يا دكتور. فأردف آندى بسرعة قائلاً: لقد كافأتها، بأن أعطيتها قطعة من الحلوى. ثم تقول كاترين: إن أمي تشترى لنا بعض الحلويات، كلما جاءت لزيارة مارتن.

وينظر الطبيب فى إصبع آندى قائلاً: إن إصبعك يبدو فى حالة جيدة يا آندي؛ إنه يتماثل للشفاء. ألا ترى ذلك يا آندي؟ فيقول آندي: أنت محق ولكن لو وضعنا عليه، لاصقًا للوقاية سيكون أفضل. أخرجت كاترين علبة بها لواصق طبية ملونة وجميلة لكى تريها للطبيب، ووافق عليها الطبيب بعد أن فحصها، ثم سأل آندى الطبيب: هل أحضرت لنا لوحة من مارتن؟ فأخرج الطبيب اللوحة، وقال لهما: إن هذه اللوحة تسمى سفينة الحياة، وراح يشرحها لهم. ثم قالت كاترين: إن هذا الشيء عجيب. إننا رسمنا أيضًا سفينة، ولكننا نسينا اللوحة فى المنزل. قال الطبيب: إن ذلك لا يهم، أحكيا لى فقط ما قد رسمتما فى لوحتكما. قال آندى: رسمنا سفينة تبحر من ناحية إلى الناحية الأخرى من النهر. وفوق هذه السفينة رسمنا مارتن، ولكننا رسمناه من الخلف، لأنه سيموت. فاستدركت أخته الكبرى كاترين قائلة: لا، رسمناه من الخلف؛ لأن الرسم من الخلف أسهل من الرسم من الأمام.

كما أننا رسمنا نفسينا فى اللوحة أيضًا، ولكننا نرسل فقط السفينة إلى الجهة الأخرى من النهر، ولسنا فوقها، لأننا لن نذهب إلى العالم

الآخر مع مارتن. مياه النهر كانت زرقاء، وفى النهر أشجار خضراء. قال الطبيب: إن هذه اللوحة سوف تعجب مارتن.

ثم يسأل آندى الصغير: لو كان مارتن قد مات، هل سيختفى إلى الأبد يا دكتور؟ فيجيب الطبيب: إنه لن يكون معنا على الأرض، وسوف يكون ذلك فى البداية صعبًا، وبخاصة على الأم. ويكمل الطبيب: ولكن اللوحة التى رسمتماها للسفينة، وهى تبحر إلى الناحية الأخرى من النهر، تعجبنى، وبخاصة أن مارتن قد رسم السفينة نفسها، هل سافرتا قبل ذلك بسفينة؟ فأجابت كاترين: عندما كنا صغيرين ومارتن كان معنا، أبحرنا بسفينة إلى السويد. ثم سأل الطبيب: وكم من الوقت استغرقت السفينة فى الإبحار؟ فأجاب الطفلان بأنهما لا يتذكران.

عـندئذ فكـر الطبيب، إنـه عندما يسير المرء بسفينة جميلة، لا يفكر فى الوقت، ولكن فقط فى اللحظات والأشياء الجميلة التى يراها تمامًا مثل أحداث الحياة: السيئ منها والجميل. ثم قال آندي: إن السفينة كان بها طعام كثير، وكان باستطاعة كل فرد أن يأكل كثيرًا كيفما شاء، ومن جميع أنواع الأطعمة؛ سواء كانت فواكه أو لحومًا أو دجاجًا. ويستطرد الطفل قائلاً: ولكننى لم أستطع أن آكل كثيرًا، لأننى كنت فى حالة تخمة شديدة. واستاءت كاترين من حديث أخيها الصغير، وحولت الحديث قائلة: أما مارتن وأنا، فإننا رحنا نطعم الطيور، التى كانت تحلق فوق السفينة، ولها أصوات غريبة، وكانت قد طارت مسافات طويلة، ملازمة السفينة. وعندما رجع الطفلان إلى منزلهما لاحظا مدى

سعادة الأم؛ لأن هناك من كان يعتنى بأطفالها من الناحية الروحية والنفسية، وكذلك الجسدية.

ثم نظرت إلى اللوحتين اللتين رسمهما الأطفال، وكتبوا عليهما: السفينة ذات الشراع الأحمر تطير مثل السهم فى الريح. والسفينة التى تبحر، هى التى تحمل ابنى، ويا أيتها الطيور البيضاء تأرجحى فى الرياح، وابلغى هدفك ولوحى بالوداع، اشهقى باكية مثل بكاء الأطفال، يا أيها الشراع الأحمر.

تمت

٢٦ـ أنا أشعر بالسماء تحت قدمى

لاورا كانت دائمًا خائفة؛ خائفة من شيء واحد فقط، ألا وهو السقــوط من مكــان مــرتفع، سواء كان هذا المكان كرسيًا أو شجرة أو حتى جبل، ولذلك لم تصعد سلمًا من دون حائط، ولم تركب العجلة أو الزلاجة، ولم تسر فى البحر بمركب ذى مجداف، وإن كان الريح ساكنًا. حتى إذا ذهبت إلى سريرها، كانت تخاف السقوط من هوة الظلام السحيق. وكثيرًا ما كانت الأم تمسك بيدها كى تمنحها الشعور بالأمان، ولكن لا تستطيع أن تفعل ذلك دائمًا.

لقد كان الوالدان قلقين على لاورا الصغيرة. إن هذا الخوف جعل حياتها صعبة، وتكاد تكون مستحيلة. من أفضل ما كانت لاورا تقوم به هو جلوسها على مقعد منخفض؛ ظهرها مستند إلى الحائط ورجلها فوق الأرض. ذات يوم جاءت خالتها للزيارة، وجلست بجوار لاورا على الكرسى المنخفض، وراحتا تتحدثان معًا عن هذا وهذه، ثم سألت الخالة لاورا قائلة: هل حدث ذات يوم أن وقعت من مكان مرتفع؟ فأجابت لاورا بالنفى، ثم سألت الخالة قائلة: إذا حدث، ووقعت فأى مكان تفضلين السقوط عليه؟ أجابت لاورا: لا أعرف، إن هذا سؤال سخيف، ولكننى آنذاك سأجد مكانًا أسقط عليه، وهو المكان الذى يكون أقل إيلاما.

في اليوم التالي ومع الغروب ذهبت لاورا مع خالتها إلى البحر. كان القمر يسطع بلون فضي فوق المرتفعات ونظرت إلى القمر، ثم قالت لاورا الصغيرة: إن هذا الشيء عجيب. إن القمر يظل في السماء، ولا يسقط إلى أسفل، كما لا تتحرك السماء أو الأرض إلى أعلى أو أسفل، فتسقط النجوم والقمر، وإنما تبقى الأرض والسماء متوازيتين والقمر في مكانه، مثل الطفل في حضن أمه، لا يسقط أبدًا من ذراعيها! فقالت الخالة: إن المرء يستطيع أن يشعر بهذا التوازن، حتى أنت يا لاورا، والدليل على ذلك، عندما تستلقين على ظهرك في البحر. ذهبت الصغيرة مع خالتها في مياه البحر التي كانت هادئة، مثل شال الحرير. ثم قالت الخالة للاورا: يجب عليك الآن أن تفردي ظهرك، وتتركي رأسك في المياه، ولا تخافي؛ لأنني سأضع يدي أسفل ظهرك، ولكنك عندئذٍ، سوف تكتشفين أن الذي يحملك هو الماء. وبكل حذر وخوف، رقدت لاورا بجوار خالتها على ظهرها فوق سطح المياه، وشعرت ببرودة المياه في الجزء الخلفي من رأسها، وفكرت لنفسها قائلة: إن خالتي كانت مثلي صغيرة، وكان يجب عليها أيضًا أن تتعلم هذا الذي أفعله أنا الآن.

وعندما رقدت لاورا على ظهرها فوق سطح البحر، اكتشفت أن المياه تحملها بالفعل، وليست خالتها، وظلت راقدة هكذا فوق سطح البحر على ظهرها، تستمتع بالنظر إلى السماء. وبينما كانت لاورا

تحدق هكذا فى نجوم السماء والقمر، كانت المياه تحملها وتتحرك بها، مثلما تحمل سفينة الفضاء رجال الفضاء دون أدنى عناء.

وفى لحظة شعرت بلمسة حانية على ظهرها من خالتها التى حملتها على ذراعيها، وقالت لها: والآن يا لاورا، هل صدقت ما كنت أخبرك به؟ فأطرقت لاورا برأسها، موافقة. ثم قالت لاورا: هل كان جدى وجدتى يعرفان كل هذا أيضًا،

عندما سقطت بهما الطائرة؟ فأجابت الخالة: نعم؛ لأننى تعلمت هذا من جدك، الذى كان يقول دائمًا: من يرقد على ظهره، ويتأمل السماء من البحر، يشبه الشخص الميت، أما أنا، فأسمى هذا الشعور بـــ "السماء تحت الأقدام".

تمت

٢٧ـ مكان مشمس تحت الشجرة

كان للسيد والسيدة بيرزله منزل، وحديقة جميلة أمامه، يطلان على النهر. لقد كبر ابناهما، بياتا بيرزله وبيرنهارد بيرزله، وتركا المنزل، وراحا يعملان فى مكان، ويقيمان فى مكان آخر. أما من بقى معهما فى هذا المنزل الجميل فهى قطتهما بـــلاوزى، التى كانت قديمًا صائدة فئران ماهرة، كما لم تدع أى كلب يدخل الحديقة.

مع مرور الوقت، غدت القطة بلاوزى فردًا من أفراد الأسرة، ولكنها مع مرور الوقت، أصبحت عجوزًا، ولا ترى جيدًا، ولا تستطيع اصطياد الفئران؛ لأنها لم تعد تراها، كما أنها لا تستطيع الدفاع عن الحديقة، فغدت الكلاب الغريبة تدخلها، وتخرج منها، دون أدنى دفاع من القطة بلاوزى. لقد أصبح كل نشاطها أن ترقد على الحشائش تحت الشجرة تتذكر ماضيها، عندما كانت صغيرة وشقية، تقفز من فرع شجرة إلى فرع آخر. لقد غدت القطة ضعيفة، حتى إنها لا تستطيع أن تهش الناموس من على وجهها الآن، لقد غدت تبلغ من العمر عشرين عامًا.

فى مواعيد الطعام، كانت أحيانًا تدخل إلى المنزل، وهى ضعيفة هزيلة، فيقوم السيد بيرزله بوضع الطعام أمامها من قطع اللحم، وتقوم السيدة بيرزله بوضع الحليب أمامها. فتأكل القليل، وتشرب القليل، ولكنها فى كثير من الأحيان لم تكن تدخل إلى المنزل لتأكل، وتظل راقدة تحت الشجرة، وراحت تضعف وتذبل ويقل وزنها أكثر كل يوم.

عندئذ أخذها السيد بيرزله إلى الطبيب. وقال له الطبيب: إن القطة العجوز لا تستطيع أن تأكل كثيرًا، وإن حالتها الصحية سيئة. عاد السيد بيرزله من عند الطبيب، وأخذ فأسًا وحفر به قبرًا للقطة فى مكانها المفضل تحت الشجرة. عندئذ جاءت القطة بلاوزى، ورقدت لوحدها فى هذه الحفرة، مستمتعة بالتراب الناعم البارد. ثم وضعت السيدة بيرزله لها مخدة تحت رأسها. وهكذا قضت القطة بلاوزى أيامها الأخيرة، كل يوم ترقد بذاتها فى هذه الحفرة حتى ألفت المكان وأحبته.

ذات يوم رقدت القطة بلاوزى فى الحفرة، ولكنها لم تستيقظ مرة أخرى، لقد ماتت فى سلام وطمأنينة. ونادى السيد بيرزله زوجته، وهو حزين، يغالب دموعه وقال لها: انظرى إلى القطة، إننا - نحن البشر- فى حاجة لأن نتعلم منها الكثير.

تمت

٢٨ـ مازلت أستطيع التحدث معها

جلس ماكس، وراحِ يرسم لوحة وسطها نقطتان صفراوان كبيرتان، ثم لون أزرق ولون أحمر كثير، وفى إطار اللوحة الخارجى الكثير من اللون الأسود. سألته بريتا قائلة: ماذا ترسم هنا؟ أجابها: أنا أرسم الحادثة. ولكن بريتا لا تستطيع أن ترى معالم أى سيارة فى اللوحة.

منذ أسبوعين كان ماكس يجلس فى السيارة مع أبويه وجدته، وكانت الدنيا ظلامًا وفجأة سمع ماكس صوت فرقعة عظيمًا وفى لحظة رأى جدته وهى تطير خارج السيارة وتسقط فى الشارع غارقة فى بركة من الدماء. الأب والأم جرحا، كثير من الناس خرجوا من سياراتهم وهم يحاولون المساعدة. ماكس جلس فى السيارة فترة طويلة وحيدًا لا يفهم ما يدور حوله. ولكنه سمع من الخارج شخصًا قد انحنى على جدته الراقدة فوق الأرض، وهو يسأل هل ماتت؟ وربط ماكس فى هذه اللحظة بين الدم المنساب على الأرض والموت.

ثم جاء شخص ما، وحمل ماكس، وذهب به إلى بيت الأطفال. وعندها رأى ماكس الوجوه الودود المبتسمة، والأطفال الآخرين الظراف. كذلك لاحظ أن هناك فى غرفته دمى، لحيوانات كثيرة للعب، وبطانيته هناك كانت عليها رسوم ظريفة.

كما كان هناك طعام وفير، وشراب وفير فرح ماكس بكل هذه الأشياء في بيت الأطفال. أما الشيء الوحيد الذى أزعج ماكس فهو الضوضاء، التى كان يحدثها الأطفال أحيانًا فهو لا يحبها. فى أثناء ما راح بقية الأطفال يمرحون ويلعبون، جلس ماكس على أريكة فى الحديقة، ولم يشاركهم اللعب. فسألته بريتا: ماذا تفعل هنا يا ماكس؟ أجاب: إننى أنتظر..! فجلست بجواره، وراحا ينتظران معًا. ذات يوم جاء والدا ماكس، لكى يأخذاه معهما إلى البيت، وأحضرا معهما حلوى ولعب أطفال. فرح ماكس برؤية والديه مرة أخرى، وأنه سيذهب معهما الآن إلى البيت. فى الوقت نفسه، كان ينظر إلى الباب دومًا، وكأنه ينتظر قدوم شخص ثالث معهما، وأدركت الأم فى ما يفكر ماكس، ومن ينتظر؟ فقالت له: يا ماكس إن جدتك قد ماتت ولن تأتى. لم يبك ماكس الصغير، بل خرج إلى الحديقة وجلس على الأريكة صامتًا وفجأة رأى جدته، وهى تجلس بجواره. فقال ماكس: ما هذا! ألم تموتى؟ فقالت الجدة: إن الموت يسيل كالدماء من مكان لآخر. ثم قال لهــا مــاكس: هل أحضرت لى اليوم أيضا الحلوى؟ أجابت الجدة: أنا لا أستطيع أن أعطيك الحلوى التى كنت تحبها، كما أننى لا أستطيع أن أطبخ لك طبقك المفضل، مثلما كنت أفعل قديما، ولكننى أستطيع فقط التحدث إليك، عندما تجلس لوحدك فى الحديقة، أو ترقد فى سريرك.

وعندما أراد ماكس أن يحتضن جدته كما كان يفعل قديمًا، اختفت الجدة ولم يعد يراها. وجاءت بريتا وسألت ماكس، وهو جالس على الأريكة: هل ما زلت تنتظر يا ماكس؟ قال: لا، لم أعد أنتظر. ثم

نيض وذهب مع والديه فى السيارة إلى منزلهم، وعندما وصل إلى البيت، فرح بالبيت؛ لأن كل شيء فى البيت ظل كما كان جميلاً ومنظمًا.

وفى لحظة واحدة انفجر ماكس فى البكاء، ولم يستطع أن يسيطر على نفسه، ولم يستطع أن يكف عن البكاء. وسأل الأب ماكس: ماذا بك، لماذا تبكي؟ فأجاب ماكس بصعوبة، وهو يغالب بكاءه: إن جدتى لن تطبخ لى طبقى المفضل ثانية.

فأجابه الأب: أعرف ذلك يا ماكس، ولقد كنت أنا طفلها المدلل، وأعرف جيدًا كيف كانت الجدة تطبخ هذا الطبق. وذهب بنفسه إلى المطبخ وأعد الطبق المفضل الذى يحبه ماكس، وعاد به وقدمه لماكس. ولما أكل ماكس من الطبق لم يلاحظ هناك فرقًا فى المذاق. فقد كان لذيذًا، مثل الطبق الذى كانت تعده الجدة. ثم قال ماكس، وهو يفكر بصوت عالٍ إننى أستطيع الحديث معها حتى الآن. ثم يسأل والديه: وأنتم أيضًا؟ قالا: نعم، ونحن أيضًا. واحتضنا طفلهما، وغمراه بحنانيهما..!!

تمت

حكايات عن الفراق والبدايات الجديدة:

٢٩ـ الوردة الصغيرة

قالت السيدة بوخ فنك: لقد كانت ليلة الأمس عاصفة. لا بد أن تكون الرياح قد أحدثت الكثير من الدمار. لقد كانت السيدة بوخ فنك مربية أطفال فى بيت للأطفال. الآن وفى الصباح، لفت انتباهها أن هناك طفلة تجلس وسط الأطفال صامتة، لا تبكى ولا تضحك ولا تتحدث؛ فهى فقط موجودة ولكنها صامتة. إنها الطفلة روزالينا التى جاءت إلى دار الأطفال منذ ثلاثة أسابيع. ومن المفروض أنها قد اعتادت المكان والأطفال الآخرين. ولكنها تبدو حتى الآن بلا حركة أو كلمة، وكأنها غير موجودة.

ثم قالت السيدة بوخ فنك مخاطبة روزالينا: إننى سأذهب إلى الحديقة كى أنظر إلى الزهور، هل تودين المجيء معي؟ فهزت الطفلة رأسها بالموافقة، وأخذتها السيدة بوخ فنك من يدها، وذهبت معها إلى الحديقة. اندهشت السيدة بوخ فنك من منظر الورود، فقد رأت أن جزءًا من زهورها، كان مكسرًا وملقى على الأرض. عندئذ التقطت روزالينا وردة ذات فرع ضعيف من الأرض، كانت الرياح قد كسرتها

لضعف عودها وألقت بها على الأرض. وراحت روزالينا تتأمل الوردة الضعيفة الصغيرة، وهى حزينة من أجلها.

قالت السيدة بوخ فنك: إن الوردة كان لها فرع مستدير، وفى المنتصف كانت تزهر. لقد كانت وردة تتمتع بكل مقومات الحياة: الضوء والغذاء والهواء. الفروع الكثيرة التى كانت حولها، أعطتها حماية من الرياح والشمس الحارقة. لهذا نمت الوردة، وأخرجت وريقات، ثم من الداخل، كانت بها البذرة التى تكمن بها الحياة، مستعدة، لبدء دورة حياة جديدة. عندئذ بادرتها روزالينا قائلة: ثم جاءت العاصفة البغيضة، وقضت على الوردة. لقد كانت روزالينا تبدو شاحبة الوجه وهى تقول ذلك. وراحت تتأمل الوردة المسكينة فى يدها، وقالت بصوت خفيض: إن الوردة المسكينة تعتقد أنها الآن لا شيء. فسمعتها السيدة بوخ فنك. فأجابت السيدة بوخ فنك بقولها: لهذا لا بد لنا من عمل شيء لها. إنها فى حاجة إلى جذور جديدة. نظرت روزالينا، وهى مندهشة متسائلة: هل من الممكن أن تنبت لها جذور؟ قالت السيدة بوخ فنك: إننى أتمنى ذلك، ثم دخلت إلى المنزل وأحضرت كوبًا به ماء دافئ، ووضعت به فرع الزهرة.

ونظرت روزالينا قائلة: والآن ماذا سيحدث؟ أجابت السيدة بوخ فنك: لا بد أن ننتظر بضعة أيام، ووضعت الكوب بالوردة فوق منضدة روزالينا. ومرت عدة أيام، والوردة لا تخرج منها جذور، وغدت روزالينا قلقة ضجرة. وذات صباح نظرت روزالينا فى الكوب

الزجاجى، ورأت أن الوردة بالفعل، أخرجت جذورًا بيضاء وصغيرة، وفرحت روزالينا فرحًا كبيرًا، وأخذت الكوب الزجاجى، وراحت تُرى الأطفال جذور الوردة البيضاء.

واندهش الأطفال عند ذلك مرتين: المرة الأولى لأنهم رأوا جذور الزهرة، والمرة الثانية، لأن روزالينا قد تحدثت معهم بعد صمت طويل. ولما رأت السيدة بوخ فنك جذور الوردة قالت، والآن نستطيع أن ننقل الوردة إلى قصرية، بها تربة، كى تنبت بها الوردة وتكبر. وأحضرا القصرية بالتربة، وقامت روزالينا: بهذا العمل، وهى سعيدة، وراحت تلون القصرية من الخارج بألوان جميلة.

وقالت إن هذا البيت من الآن سأسميه "بيت الوردة للأطفال" ثم سألت روزالينا: هل ستبقى الوردة فى هذه القصرية إلى الأبد؟ أجابت السيدة بوخ فنك: لا، ثم احتضنت روزالينا، وأجلستها على حجرها قائلة: بعد أن تكبر الوردة بعض الشىء، نستطيع نقلها إلى الحديقة، حيث تنمو أكثر، وتكون لها أفرع كثيرة وأزهار. فى المساء، عندما استلقت روزالينا على سريرها، وراحت تتأمل قصرية الورد بجوارها، قالت لنفسها: غدًا سوف أكبر أنا أيضًا؛ وأصير أيضًا امرأة ناضجة، مثل هذه الوردة.

تمت

٣٠ـ حكاية فقاعة من الصابون

الطفل تيل يعيش مع والديه فى مارباخ. وفى أحد الأيام، رجع الوالد من عمله، وقال إنه سوف يسافر إلى نيوزيلندا، حيث يقوم ببناء مشروع هناك، لأنه كان يعمل كمهندس بناء. نيوزيلندا تقع فى نهاية الكرة الأرضية، حيث أراها الوالد لتيل. ولأن الأم لم تبد سعادة بهذا الخبر، فإن تيل لم يجرؤ على أن يسأل والده عن أى معلومات أخرى عن هذه البلاد. فى يوم سفره، اشترى الأب لعبة ظريفة لتيل، وهى عبارة عن زجاجة رفيعة وطويلة، بها فرشاة بيضاء تشبه الثلج، عند إخراجها من الزجاجة والنفخ بها، تطير منها فقاعات صابونية كثيرة تنتشر فى الغرفة، وعلى قطع الموبيليا، ولكنها سرعان ما تختفى من ذاتها، دون أن تترك أى أثر.

وراح تيل يلعب بهذه الفقاعات الملونة، وينفخ فيها، ويتأملها، وهى تطير فى جميع أرجاء الغرفة، وتختفى من تلقاء نفسها. بعد لحظات، كان تيل قد نفخ جميع ما فى زجاجته من فقاعات، وأراد أن يشترى له والده زجاجة فقاعات أخرى.

لكن الوالد كان قد سافر، وراح تيل يجرب لوحده أن يجد هذه الفقاعات الجميلة. وفى النهاية اكتشف أن الرغاوى التى يحصل عليها من المنظفات التى تستعملها والدته، هى الأمثل والأفضل على الإطلاق، لكى يقوم بعمل فقاعات مناسبة منها. وراح تيل يرجو أمه كى تعطيه هذه المنظفات؛ ليعمل منها الفقاعات. عندئذ قالت له أمه: سوف أعطيها لك، على أن تعدنى بألاً تضع هذه المنظفات فى فمك، فوافق تيل على الفور، حيث إنه لم يعد طفلاً كى يؤذى نفسه. وفرح تيل بذلك، لأنه يستطيع الآن عمل فقاعات كثيرة، كيفما يشاء. سألت الأم ابنها تيل: هل أنت حزين؛ لأن هذه الفقاعات الملونة تختفي؟ أجاب تيل: لا لست حزينًا. وقالت له أمه: لك أن تتخيل مدى التعب والجهد اللذين كنا سنعانيهما، لو أن كل هذه الفقاعات التى تنفخها، بقيت هنا فى الحجرة متراكمة؟ ولكن الأم كانت سعيدة أيضًا لأن ابنها تيل، وجد ما يشغله عن غياب أبيه، ولم يعد يفكر كثيرًا فى غياب والده.

وراح تيل يراقب الفقاعات الطائرة، وفكر فى أنها تجمع ألوان الطيف، مرة واحـــدة، ولكنـــه عندما راح يدقق النظر فيها، لاحظ أن هذه الفقاعات فى غاية الدقة والنظام، حيث إنـــها فـــى البداية يكون لونها أبيض، ثم يتحول لونها إلى اللون الوردى، ثم يتحول إلى اللون الأخضر، وذلك بالترتيب. ثم تنفجر هذه الفقاعات وتختفى.

ثم اخترع تيل قمعًا أكبر بعض الشىء من الأنبوبة الرفيعة، التى كان والده قد أهداها له، وراح ينفخ فيها الفقاعات أمام الدولاب، والذى

كان مظلمًا بعض الشيء، حيث استطاع أن يرى ألوان الفقاعات بوضوح أكثر، حيث لاحظ هنا أن الفقاعات تحولت من الوردى إلى الأخضر الفاتح، ثم إلى الأزرق والأخضر.

ثم واتت تيل فكرة أخرى، وهى أن ينفخ الفقاعات من طبق، ويرى ماذا يحدث لها، لعلها تبقى فترة أطول. وبالفعل نفخ الفقاعات من هذا الطبق، ولاحظ أنها بقيت فترة أطول فى الطبق، وكان لونها جميلاً. ثم جاءت تيل فكرة أخرى، وهى أنه أحضر لوحًا زجاجيًّا ووضع أسفله شمعة صغيرة، ونفخ فقاعاته فوق لوح الزجاج، فرأى أن الفقاعات مضاءة من الداخل، وضوؤها ساحر جميل، ثم رجا والدته أن تطفئ نور الغرفة، فرأى أن ألوان الفقاعات بالضوء ازدادت جمالاً، وأنارت الغرفة بنور وألوان مبهجة.

لقد غدا تيل مبهورًا بهذه الفقاعات، وما تبعثه من ألوان. وكان تيل يصف هذه الفقاعات لوالدته، ويخبرها بأن كل فقاعة ذات لون آخر مختلف عن الأخرى. ولكن الألوان تأتى فى الفقاعات بالترتيب السابق نفسه؛ فى البداية تكون الفقاعات بيضاء، ثم تأخذ اللون الوردى، ثم اللون الأخضر الفاتح، وأخيرًا اللونين الأزرق والأخضر، إن الألوان الجديدة لا تختلط بالألوان القديمة، بل تطردها وتحل محلها. إنها لعبة طريفة جدًا. وكلما بقيت الفقاعة فوق لوح الزجاج، غدا لونها الأخضر باهتًا. انظرى يا أمى، الآن يتحول اللون البنى إلى لون ذهبى مصفر، مثل لون العاصفة الرملية فى الصحراء.

والآن يتحول إلى لون رمادى فضى مع الوقت، أما اللون الأزرق التركوازى، فيختفى الآن. وتبدأ الآن النقط السوداء فى الظهور.

ثم حدثت طرقعة خفيفة، واختفت الفقاعة. سألت الأم ابنها تيل: كم تستطيع الفقاعة أن تعيش؟ أجابها قائلا: أربع دقائق، ثم قال تيل لأمه: إن الشاعر يقول: "إن الألوان لهى أعمال ومشاعر الضوء". لقد غدت الأم منبهرة بابنها الصغير ومعلوماته الغزيرة. وراح تيل يسأل نفسه: هل تولد الفقاعات فى جميع أنحاء العالم بهذه الطريقة وتنتهى أيضًا بهذه الطريقة؟.

قالت الأم: إنك يا تيل لا بد أن تسأل والدك عن هذا. ثم كتب تيل لوالده يقول: "والدى العزيز، إننى بخير وأقوم بعمل الكثير من التجارب عن الفقاعات الصابونية، والآن أود أن أعرف منك، هل هذه الفقاعات عندك، تختلف فى الشكل عن الفقاعات التى نعرفها نحن فى ألمانيا؟ أرجوك أن تخبرنى عن هذا بدقة وشكرًا. ابنك تيل".

فرح الأب بخطاب ابنه فى نيوزيلندا، ولكنه كان مشغولاً، ولم يكن لديه وقت لتجربة هذه الفقاعات. وبعد فترة من الوقت، راح الأب يقوم بتجربة هذه الفقاعات، لكى يرى عما إذا كانت مثل شبيهاتها فى ألمانيا أم لا؟ انتظر تيل طويلاً رد والده، حتى إن تيل اعتقد أن نيوزيلندا لا توجد على الخريطة، أو أن والده لم يعد موجودًا فى هذا

العالم. من دون توقع جاء خطاب من الوالد، وعليه طابع بريد جميل من نيوزيلندا.

كتب الوالد قائلاً: "ابنى العزيز، كنت أعتقد أن الفقاعات تحتوى على ألوان الطيف، ولكن بعد أن قمت بتجربتها، اكتشفت أنها ألوان عديدة متداخلة فى بعضها تمامًا مثل الدوائر. كما أن هذه الألوان تنشأ؛ نتيجة تضاعف الصورة تمامًا مثل تضاعف الصورة فى الفقاعات من الداخل والخارج.

إنها مجموعة من الألوان تظهر مرة واحدة مجمعة مع بعضها؛ فهى فى البداية حمراء، ثم تصير خضراء، وعندما يكون سطح المياه رقيقًا، تصبح صفراء وزرقاء، وكلما كان سطح المياه رقيقًا بهتت هذه الألوان، حتى تصير الألوان فى النهاية نقاطًا سوداء. هل لاحظت كل هذا أنت أيضًا؟ أنا سعيد أنك قد جعلتنى أبحث فى هذا الأمر، وأعرفه عن قرب، وكما رأيت، فإن أشياء كثيرة متشابهة فى هذا العالم. والدك / توماس."

إن الأم لم تكن أبدًا تحب هذه اللغة العلمية الجافة. أما تيل فقد فرح بخطاب أبيه كثيرًا؛ لأنه اكتشف أن الفقاعات متشابهة فى جميع أنحاء العالم، كما اكتشف أيضًا أن والده ظل كما هو، لم يتغير أيضًا فى نيوزيلندا. ثم أحضر تيل خريطة العالم وأضاء النور، وراح يتأمل الناحية الأخرى من الأرض. وانشغل تيل بفقاعاته أكثر فأكثر، حتى

لاحظ أن هذه الفقاعات، كلما طال عمرها، كانت أجمل وأكمل. وأحضر مرآة عاكسة، وراح يعكس الضوء عليها من جميع النواحى، حتى يغمرها الضوء بصورة أفضل.

ثم قام بعمل صندوق صغير يشبه الفقاعة، بحيث يستطيع المرء فتح وغلق هذا الصندوق. وبداخل هذا الصندوق تكونت الفقاعات والضوء؛ الفقاعات كانت تتكون عن طريق النفخ، يقوم به موتور صغير.

عند ذلك قالت الأم لابنها: لا بد يا تيل، أن تذهب إلى والدك فى نيوزيلندا، كى تريه صندوق الفقاعات هذا الذى اخترعته. وفرح تيل وسعد أيما سعادة برحلته هذه إلى نيوزيلندا. وفى نيوزيلندا، اكتشف تيل أن والده قد اختلف كثيرًا، فلم يعد هو والده الذى كان يعرفه فى مارباخ، كما أن تيل ذاته قد تغير، وبدت عليه ملامح مختلفة أيضًا. وعلى أى حال، كان الوالد فخورًا بابنه تيل، وباختراعه وإصراره وصبره على هذا العمل الشاق. كما أن الأب اكتشف نفسه مجددًا فى ابنه النشيط الذكى.

وراح الأب يجلس مع ابنه لأوقات طويلة أمام الصندوق الصغير المظلم، الذى يشبه القوقعة، والذى يحتوى على الضوء بداخله. ثم يتأملان الأضواء المنبعثة من هذا الصندوق. هذه الأضواء الجديدة، كانت تبدو أحيانًا ذات أشكال مختلفة، مرة تشبه المياه فى البحار، ومرة

ثانية تشبه أشكالاً أخرى. ثم أخذ الوالد ابنه تيل معه إلى المصنع، حيث يعمل، وراح يريه اختراعه فى المصنع. هذا الاختراع راقد تحت أكوام من الجليد. وفى نيوزيلندا الغنية بالبحار، تعلم تيل التزلج فوق المياه، واستطاع تيل أن يفهم سر سعادة الوالد فى نيوزيلندا.

بعد فترة سعيدة قضاها تيل فى نيوزيلندا، عاد إلى ألمانيا، وقد اكتست بشرته باللون البنى القمحى، وذلك من الشمس هناك. وراح تيل يحدث زملاءه فى المدرسة عن والده، وعن نيوزيلندا التى أصبحت جزءًا من حياته. وعندما جلس تيل مع والدته مساء فى المطبخ على طعام العشاء، وجد كل شىء جميلاً ومألوفًا ومستساغ الطعم، وأعد بحب واهتمام. عند ذلك شعر تيل بأن أمه هى حارسة حياته، وهى المهتمة به، وهى التى تعطيه الشعور بالأمان والاطمئنان. إنها الأم، إنها الوطن. ولم يستطع تيل أن يعبر لأمه عن كل هذه المشاعر، ولكنه قال لها باختصار شديد، ولكن بحب شديد أيضا: "إن طعامك هو أجمل طعام، وإنه ألذ طعام". وأدركت الأم ما يعنيه ابنها بذلك.

تمت

٣١ـ القزم بوميرنيكل

كان للقزم بوميرنيكل اثنان من الأصدقاء العمالقة. كان أحدهما يعيش فى روندافالد، والآخر يعيش على بحيرة إيجل. كانا عملاقين طيبين وظريفين، ولكنهما كانا طويلين، حتى إن رأسيهما كانا يصلان إلى الغيوم، وكانا أحيانًا يقومان ببعض الأفعال الشاذة، ولكنهما سرعان ما كانا يندمان على ذلك.

قديمًا كان العملاق الذى يسكن فوق بحيرة إيجل يعيش فى روندافالد، حتى جاء يوم، تشاجر فيه العملاقان، وذلك بسبب قضاء الإجازة، حيث كان العملاق الذى يعيش على بحيرة إيجل، يحب دومًا قضاء العطلة بجوار الماء. فقال له العملاق الآخر المحب لمنطقة روندافالد: إذا كنت تحب الماء هكذا، إذن فاذهب وعش هناك أيها الغبى. بعد بضعة أيام ندم العملاق على قولته هذه، وأراد مصالحة صديقه، ولكن الآخر كان قد ذهب إلى البحيرة ووجد له سكنًا هناك.

على أى الأحوال، كان العملاقان يحبان القزم بوميرنيكل، ربما لأنه لم يكن كبير الحجم مثلهما، وربما لأنه كان ظريفًا ويجيد النكتة والضحك. إن القزم كان يستطيع أن يمشى على يديه، ويستطيع الوقوف على يد واحدة. كما كان القزم يستطيع اللعب بإصبع قدمه الكبير، وهذا ما لم يستطعه أحد غيره.

وبالرغم من أن القزم كان يعيش فى روندافالد، فإنه كان يحب زيارة العملاق الآخر على بحيرة إيجل، ويذهب الاثنان معًا لصيد السمك فى البحيرة. وبعد أن يعودا من صيدهما كانا يقومان بشى السمك، ويأكلان معه بصلاً وفجلاً. وبعد ذلك لم يغسل أى منهما يديه أو فمه، وراح العملاق يحكى للقزم عن مغامراته. وكان كل منهما ذا رائحة كريهة وذلك لعدم اغتسالهما. فى اليوم التالى، عندما عاد القزم إلى الغابة ورآه العملاق قال له: إنك تبدو أسود، ومتسخًا، مثل الخبز المحروق، ثم أحضر العملاق قدرًا من الماء ووضعه فوق النار، ووضع به بعض الأعشاب ذات الروائح الطيبة حتى سخن الماء، وبدت رائحته طيبة، أخذ العملاق القزم الصغير وراح يحميه وينظفه من القاذورات العالقة به. وكان القزم الصغير يحب هذا الحمام، بعد ذلك كان العملاق يعطيه "جاتوه" ليأكله ثم يعطيه بعد ذلك نبيذ العسل، كى يشربه؛ وهذه الأطعمة والمشروبات، كانت هى كل ما يحبه القزم الصغير.

بعد كل هذا، كان على القزم الصغير أن يحكى لعملاق الغابة كل ما حدث مع صديقه الآخر الساكن على البحيرة. كم عدد الأسماك التى اصطادها؟ ما نوعية هذه الأسماك؟ من أين أتوا بالبصل؟ هل زرعه العملاق فى حديقته، أو أن أحدًا أهداه له؟ ومن هذا الذى أهداه البصل؟ هل يعيش عملاق البحيرة دائمًا لوحده أو أنه وجد صديقًا آخر له؟ وكلما تحدث القزم الصغير، ازدادت أسئلة عملاق الغابة.

أدرك القزم الصغير أن عملاق الغابة لديه حنين إلى صديقه القديم عملاق البحيرة. عند ذلك سأل القزم عملاق الغابة: أعتقد أنك تحن إلى صديقك القديم عملاق البحيرة؟

أجاب عملاق الغابة قائلاً: لا لا، إننى لا أعتقد هذا. إنه يجب أن يبقى فى مكانه حيث هو.

إننى لا أريد أن أتعامل مع شخص يتسول البصل من الناس. ولاحظ القزم الصغير أن عملاق الغابة حزين حتى البكاء. وعندما جاء القزم إلى عملاق البحر سأله الآخر: أخبرنى كيف تسير الأمور لدى عملاق الغابة؟ عند ذلك راح القزم بوميرنيكل، يقص على عملاق البحيرة كل شيء يخص صديقه الآخر عملاق الغابة بالتفصيل، وإنه أعطاه "جاتوه" وكذلك نبيذ العسل، ويسأل عملاق البحيرة: هل مازالت هناك بقية من نبيذ العسل فى الغابة؟ ويسأل عملاق البحر قائلاً: من يحضر له خشب التدفئة والطبخ الآن؟ هل له صديق آخر الآن يساعده؟ لقد قال لى دومًا: إنه يريد أن يعيش وحده.

عند ذلك قال له القزم: أعتقد أنك مشتاق إلى صديقك، عملاق الغابة؟! أجاب عملاق البحر بقوله: لا لست مشتاقًا إليه، إنه حمل وضرب العملاق الأرضى برجله، حتى قفزت السلة المليئة بالديدان لصيد السمك من شدة ضربته فى المياه، وراحت الأسماك تأكل الديدان، وهى سعيدة دون خوف من أن يصطادها أحد.

وفى هذا المساء لم يستطيعا بالطبع صيد السمك لفقدانهما الطعوم فى المياه، ولم يأكلا سوى بصل وفجل. ثم جاء وقت، ضاق فيه القزم الصغير بتصرفات صديقيه العملاقين، من بكاء وضرب الأرض بالأقدام وزعيق وغير ذلك من العصبية. وراح يفكر فى طريقة جميلة، كى يصالحهما بها.

عند ذلك فكر القزم بوميرنيكل، أن أفضل طريقة هى أنه إذا سألنى أحدهما عن الآخر، لا أجيبه عن سؤاله، حتى يتحدث كل منهما مع الآخر بنفسه. وعندما جلس القزم فى قدر المياه الساخن والممزوج بالأعشاب المعطرة عند عملاق الغابة، كى يحميه ويشطفه، راح عملاق الغابة يسأل عن صديقه القديم، عملاق البحيرة. فأجابه القزم قائلا: إننى لا أعرف عنه شيئًا، لا بد أن تسأله أنت بنفسك، كما أننى لست بجاسوس. اندهش عملاق الغابة من إجابة القزم التى فاجأته وصمت، ولم يسأل مرة أخرى.

فى اليوم التالى ذهب بوميرنيكل القزم إلى صديقه الآخر، عملاق البحيرة. وعندما جلس الاثنان على البحيرة، كى يصطادا السمك، وبدأ عمـــلاق البحيرة يســـأل القـــزم عـــن صديقه عملاق الغابة، قال القزم: لا أعرف شيئًا، ولا تسألنى مرة أخرى عنه إننى لست جاسوسًا. اندهش عملاق البحيرة أيضًا من إجابة القزم، ولكنه لم يسأله ثانية، وبهذا أصبح القزم الصغير محبوبًا عند العملاقين، عملاق البحيرة وعملاق الغابة، كما أراح نفسه من عناء إجابة الأسئلة، وقرّب بين الصديقين المتخاصمين.

تمت

٣٢ـ البدلة الخطأ

هانز يرقد على سريره دائم البكاء، يضرب بكلتا يديه المخدة من شدة الغيظ، عيناه تورمتا من كثرة البكاء. منذ ثلاثة أيام، والأم حائرة، لا تدرى ماذا تفعل معه؟ طرقت الأم على باب غرفته، لكى تخبره بأن صديقه ماركو ينتظره على التليفون، حيث إنه يتصل للمرة الرابعة: تعال من فضلك.. فى النهاية ذهب هانز إلى التليفون، وهو باكٍ أيضًا. قال ماركو فى التليفون لهانز: اليوم لدينا "ماتش" كرة هل ستأتي؟ أجاب هانز: لا لن آتى، أنا مريض.

أجاب ماركو على الطرف الآخر: لا أنت لست مريضًا أنا صديقك، وأعرفك جيدًا. أخبرني، ماذا بك؟ أجاب هانز باقتضاب، لقد رحل أبى. وأجاب صديقه ماركو، لهذا يجب عليك ألاّ تحزن. إن أبى تركنا قديمًا، وأنا أعيش مع أمى وزوجها. كما أن الفصل به خمسة تلاميذ تركهم آباؤهم، وهربوا، وبقوا فقط مع أمهاتهم. عند ذلك سأل هانز متعجبًا: هل تعيش فعلاً مع زوج والدتك؟ إننى لم ألاحظ هذا، إنه يبدو دومًا مثل أبيك الحقيقي. ثم سأل هانز صديقه ماركو: ومن هم الزملاء الخمسة الآخرون؟ أجاب ماركو: إنهم زملاؤنا كلاوديا وأوتا وشتيفان ودنيس وفابيو.

عندئذ قال هانز: إذا كان كل هؤلاء قد تركهم آباؤهم، فإننى لست فى حاجة إلى أن أكون حزينًا أو خجلاً. ثم رجاه ماركو، أن يأتى معهم للعب الماتش، وقال له: من دونك لن تكون لنا فرصة أن نكسب المباراة اليوم. ثم فكر هانز للحظة وقال لصديقه ماركو: وهو كذلك، سوف أكون هناك فى الساعة الثانية. بعد أربعة أسابيع من هذا الحدث، كان على هانز أن يذهب لزيارة والده. فى الواقع لم يكن يريد ذلك، ولكنه لا بد له أن يذهب. دخل المقهى حيث وجد والده جالسًا بركن بعيد هادئ. حيا هانز والده تحية قصيرة مقتضبة، وهو لا ينظر إليه.

وطلب كل منهما قطعة "جاتوه" جبنة وأكلها. ثم قال الوالد لابنه: "لقد أحضرت لك معى هدية" ثم أعطى لهانز علبة كبيرة، ونظر إليها هانز، وهو متطلع، ويتمنى أن يرى ما بها.

وبعد برهة لم يستطع هانز مقاومة فضوله، ففتح العلبة، ورأى ما بها: بدلة رياضية، لونها أبيض مع أزرق، جميلة وماركة غالية جدًا. انبهر هانز فى البداية، بهذه البدلة، وأخرج البنطال ووضعه على وسطه، فرأى أن هذا البنطال كبير جدًا لا يناسب حجمه، وقطب هانز وجهه، وهو حزين. وفى لحظة تذكر الطفل كل ما عاناه، بسبب ترك والده لهم فى المنزل منذ عدة أسابيع، وثارت كل نوازع الغضب فى عقله الصغير، وفجأة قذف البدلة على الأرض، وصاح فى والده: احتفظ بهذه القاذورات لنفسك، إننا لا نريد منك شيئًا.

وارتجف الأب من هول ما سمع من ابنه، والناس فى المقهى ينظرون ويراقبون الموقف بعيون متطلعة. ولكن الأب الذى لديه خبرة بالحياة ومشكلاتها تمالك أعصابه، وتحامل على نفسه، وانحنى على الأرض، وأخذ البدلة وطبقها بعناية، ووضعها مرة أخرى فى العلبة، ودفع حساب المشروبات.

وخرج من المقهى وخلفه ابنه هانز، ثم عبرا الشارع ودخلا فى شارع آخر، وهو الشارع الذى يقع به المحل الذى اشترى منه هذه البدلة. دخل الأب وخلفه الابن المحل، والذى وقفت به بائعة أخرى تعرف زبائنها جيدًا، كما أنها لاحظت أن الطفل يبدو كأن به جرحًا، مثل الذى يسقط من فوق دراجة، وقد لاحظت هذا على والده أيضًا. ثم مازحت البائعة هانز، وقالت له: "أن يشترى لك والدك بدلة أكبر من حجمك، فهذا يعنى أنه يراك كبيرًا فى نظره". "ثم أحضرت لهانز بدلة أصغر من البدلة السابقة، كى يقيسها هانز، وقد كانت هذه الأخيرة تناسب مقاس هانز تمامًا. ثم قالت البائعة: إن كل شىء جديد، يحتاج إلى وقت، حتى يستطيع المرء أن يتأقلم عليه.

ونظر الأب والابن، كل منهما إلى الآخر، حيث إن كلمة البائعة قد أعجبت الاثنين، الأب والابن. حتى الآن كانت الأم هى دائمًا التى تشترى الملابس لابنها هانز، أما اليوم فإنه شيء جديد على الطفل أن

يشترى له الوالد ما يلبسه. ثم سألت البائعة مقاطعة: هل تريد أن ترتدى البدلة الآن، أو أضعها فى علبتها؟ وأجاب هانز: بل أرتديها الآن. ثم شكر هانز والده، وأمسك بيده، وخرجا معًا، يتنزهان عبر الشارع.

تمت

٢٣ـ سر ملكة الليل

الطفلة فيكى تعيش مع أبيها فى منزل واحد؛ هذا الأب دقيق جدًا ومنظم جدًا ويعرف الواجبات والحقوق. لقد كان يعمل كرجل دعاية وإعلان، وهو ناجح ومرموق فى عمله. أما فيكى، فقد كانت ترتدى، أفخر أنواع الثياب، وتذهب إلى مدرسة خاصة مرتفعة التكاليف. كما كانت غرفتها الخاصة مليئة بجميع أنواع اللعب غالية الثمن. كما أن هناك خادمة، كانت تقوم بتنظيف المنزل والمطبخ وتلبية حاجيات فيكي أيضًا، كما كان لها أصدقاء وصديقات ظراف ومهذبات. إن فيكى كان ينقصها شيء واحد، ألا وهو الأم. إن أمها كانت تعيش خارج المدينة بعيدًا عن أبيها، ولم يسمح لها أبوها بزيارة أمها، وعلى ما سمعت من أبيها، فإن الأم كانت لديها مشكلة مع الكحوليات، أو كانت هناك مشكلة أخرى.

على أى الأحوال، لا تستطيع فيكى أن تتذكر أمها. ومع مرور الوقت نسيت فيكى أمها، ولم تعد تسأل عنها. أما الآن، فإن فيكى أصبحت فى الحادية عشرة من عمرها، وأصبحت قريبة من السن التى تصير فيها امرأة ناضجة.

عند ذلك أصرت فيكى على أن تزور أمها. وحاول والدها أن يثنيها عن عزمها، لكنه لم يستطع، وأخيرًا رضخ الأب لرغبتها هذه. وجلست فيكى فى القطار، ذاهبة إلى القرية التى تسكنها الأم. بعد ساعات وصل القطار، وهبطت فيكى، وراحت تمشى فى القرية حيث تعيش الأم، وفيكى تفكر طويلاً فى أمها، وهى فى غاية التطلع والفضول. وبعد أن سألت العديد من السكان عنها، وجدتها امـــرأة بسيطـــة ترتدى فانلة "نصف كم" وجيبة ملونة، وتطلق شعرها دون تسريحة معقدة.

وبمجرد أن رأت هذه المرأة البسيطة، سألت بسرعة هل أنت فيكتوريا؟ أجابت فيكي: نعم. عند ذلك احتضنتها المرأة بحرارة وتـــرحـــاب، واشتمت فيـــكى رائحة المـــرأة؛ لأن هذه المرأة ما هى إلا قطعة منها، كانت رائحتها نوعًا من الصابون الأبيض الرخيص. ثم قالت المرأة الممتلئة لفيكي: هل تريدين أن تنادينى بإيفا أو ماما؟

ثم حملت حقيبة فيكي وذهبتا معًا تجاه عربة جيب، وقالت لفيكى: اصعدى السيارة. وراحت الأم تقود السيارة فى شارع ممتد فى قرية، ثم انتهى هذا الشارع، ثم راحت السيارة تسير فى شارع آخر مكسر وغير ممهد، حتى وصلا إلى منزل بسيط ومتواضع. وعندئذ قالت إيفا الأم: هنا فى هذا المنزل أعيش أنا. خلف المنزل، كانت هناك حظيرة حيوانات تحتوى على بعض الماعز والدجاج والبط والأرانب ونعجتين وقطتين وكلب.

وحول المنزل، كانت هناك حديقة بها بئر مياه صغيرة، وكذلك صوبة زراعية لإنبات الخضراوات. وسألت الفتاة أمها متعجبة: هل تملكين كل هذه الأشياء؟ ولم تجب إيفا على الفور، وأخذت فيكى معها إلى الداخل، كى تريها المنزل من الداخل ثم أرتها غرفة وقالت لها: هذه هي غرفة نومك. ورأت فيكى الغرفة التى بدت وكأنها غرفة للعب الأطفـــال بهـــا قطع أثاث ملونة وأسرة ذات ألوان مربعة كاروهات. ثم قالت الأم: الحمام والدش فى الدور السفلى بالمطبخ.

وسألت فيكى الأم: وأين التليفزيون؟ فأجابت الأم بأنها لا تملك تليفزيونًا. فى العشاء كان هناك خبز وزبدة وجبنة ولبن رايب بالفاكهة. وسألت فيكى أمها: من قام بعمل كل هذا؟ أجابت الأم: أنا أقوم بعمل كل شيء هنا. بعد العشاء راحت الأم تنظم وتنظف كل شيء، وسألت ابنتها فيكى قائلة: هل لك أن تساعديني؟ لم تكن فيكى تعلم كيف تساعدها، ولم تكن قد قامت بأى أعمال منزلية من قبل. فقالت الأم لها: ما عليك سوى أن تضعى الأطباق هنا فوق حوض الغسيل.

ولما رأت الفتاة كل هذا الفقر والتواضع، قاومت دموعها بصعوبة. وراحت تفكر، هذه المرأة البدينة ذات اليدين الخشنتين والملابس المتسخة والوجه الذى لا يعرف الماكياج هى أمى. إن ذلك ليس بالعـــجيب، أن يتركها أبى ولا يقبل العيش معها. على أى حال، لا بد لى أن أتحمل العيش هنا طوال أربعة أسابيع مقبلة، هكذا فكرت فيكى. قالت الأم لابنتها: إننى معى كتاب هنا، إذا أحببت القراءة، ولكن

فيكي كانت متعبة وراحت تتثاءب. ثم أردفت الأم قائلة: "غدًا سوف أريك المكان الذى ولدت فيه". ونظرت فيكى باستغراب واستعجاب وقالت لأمها: أتقصدينني أنا؟ أجابت الأم: نعم أنت، فأنا أمك وقد ولدتك هنا. وذهبت الفتاة إلى سريرها، وهى مندهشة، وما إن استلقت على سريرها، حتى راحت فى نوم عميق.

فى الصباح عندما استيقظت فيكى ونظرت إلى أسفل، حيث الحيوانات فى الحظيرة نادت عليها إيفا، التى كانت قد استيقظت مبكرًا، وقالت لها: انزلى كى تساعدينى، وتمسكى لى "المعيز".

ارتدت فيكى بنطالها، وفانلتها، ونزلت إلى حظيرة الحيوانات، التى كانت رائحتها غير مريحة لأنف فيكى. عندئذ قالت إيفا لها: الماعز له دائمًا رائحة خاصة. أمسكى المعزة من قرونها وداعبى شعرها، حتى تقف وتدعنى أحلبها. إن فيكى لم تقم بهذا العمل فى حياتها، ولم تره قبل ذلك. ولكن هذا كان، بالنسبة لها، مدهشًا وطريفًا وجديدًا. ثم قالت لها الأم: لا تندهشى كثيرًا، بعد بضعة أيام تستطيعين أنت أيضًا حلب هذه "المعيز".

على الإفطار كان على فيكى أن تشرب أيضًا من حليب الماعز، الذى أعجبها طعمه ووجدته لذيذًا. طوال اليوم انشغلت فيكى بآلاف الأشياء، التى لم تكن تعرفها من قبل، وهى الآن تتعلمها من إيفا أمها. فى الغذاء قاما معًا بجنى بعض قرون البسلة وتحميرها فى السمن،

وتناولها بالخبز، وقد استطعمت فيكى هذا أيضًا ووجدته لذيذا. وفى العشاء قامت الاثنتان، بجنى الخضار من الحديقة وطبخه وتناولاه على أنه طعام عشائهما، ووجدته فيكى أيضًا لذيذًا وطيبًا.

ومع مرور الوقت لم تشعر فيكى بأى شوق أو حنين إلى حياة المدينة الكبيرة، التى جاءت منها. ثم قالت لها الأم: غدًا قبل اثنى عشر عامًا، قد ولدت هنا. وغدًا سوف نحتفل معًا بعيد ميلادك. ثم سألتها الأم: هل تعلمين، لماذا يطلقون عليك اسم فيكتوريا؟ فأجابت فيكتوريا: لا، لا أعرف. فقالت لها أمها إيفا: غدًا سوف أقص عليك كل هذا، والآن يجب عليك أن تنامى نومًا هادئًا، وتحلمى أحلامًا سعيدة عن عيد ميلادك غدًا، تصبحين على خير. فى الصباح وعلى مائدة الإفطار، وجدت فيكى "تورتة" كبيرة بها اثنتا عشرة شمعة، واثنا عشر قلمًا من السكر، كما أحاطت قطعة "التورتة" بأوراق الورد. وبجوار قطعة "التورتة"، كانت هناك شرابات من صوف الغنم، وعلبة أخرى صغيرة. وقالت إيفا لابنتها: بعدد نجوم السماء أتمنى لك حظًا سعيدًا فى حياتك. واقتربت من ابنتها فيكى، وقبلتها مهنئة.

ثم سألت فيكى أمها قائلة: هل قمت بعمل كل هذه الأشياء بنفسك؟ أجابت الأم: نعم كل عام كنت أقوم بعمل شمعة من شمع العسل، واحتفظ بها لك حتى وصلت الآن إلى اثنتى عشرة شمعة، وهو عمرك الآن، وبينما هى تتحدث مع ابنتها امتلأت عيناها بالدموع. ثم ذهبت إيفا مع ابنتها إلى الصوبة التى بداخلها بئر المياه الصغيرة التى امتلأت بالورود، وحولها كانت هناك الشموع موقدة.

وتعجبت فيكى قائلة: "إن الورود داخل البئر ذات أوراق كبيرة. ثم قالت الأم: نعم إن كل ورقة من أوراق هذه الورود، تستطيع أن تحمل فوقها طفلاً رضيعًا أكبر من عقلة الإصبع. أنت تعرفين بالطبع قصة عقلة الإصبع. قالت الأم متسائلة: ولكن فيكى لم تكن تعرف قصة عقلة الإصبع، عندئذ قرأتها إيفا لها، وجلستا بداخل الصوبة التى سطع فوقها ضوء القمر وتلألأت فى السماء النجوم، وحولهما سمعتا صوت صفير الصراصير، وراحت فيكى تأكل بعض المقرمشات. عند ذلك قالت إيفا لفيكي: هل ترين أوراق هذه الورود؟ فوق إحدى هذه الأوراق قد وضعتك أنا، وحملتك ورقة الزهرة العريضة هذه. انظرى هناك.

ورأت فيكى زهرة بيضاء عريضة الأوراق. فقالت لها إيفا: فوق مثل هذه الزهرة وضعتك على إحدى أوراقها، وسميتك على اسم هذه الزهرة أيضًا؛ لأن هذه الزهرة تسمى فيكتوريا كروزيانا، وهى تأتى فى الأصل من منطقة الأمازون بجنوب أمريكا. غدًا سيتحول لون هذه الزهرة إلى اللون الأحمر، وتغوص إلى أسفل، حيث تتكون بذورها فى القاع، وتزهر من جديد، وتبدأ دورة حياة جديدة فى مكان آخر. أوراقها تظهر بسرعة فوق سطح المياه بالليل، وتصير هذه الزهرة بهذه الصفات ملكة الليل. وراحت فيكى تسرح بأفكارها بعيدًا فى طفولتها، وما تحكيه أمها، وهى تقترب رويدًا رويدًا من أمها، حتى وضعت رأسها على حجرها، وهى مستسلمة لراحة تنبع من أعماقها.

ثم قالت الأم: أنت تعرفين والدك جيدًا، إنه لم يرض بالبقاء فى القرية، ولما ذهب إلى المدينة وتركنى وحدى بدأت همومى تزداد، فاستسلمت للكحوليات، حتى جاءت إدارة رعاية الشباب والطفولة إلى بيتى، وأخذوك منى خوفًا عليك، وأعطوك لوالدك، ولقد فعلوا بذلك خيرًا.

ثم تعالجت من الكحول وحاولت أن أستردك ثانية، ولكننى لم أستطع تمامًا مثل بذور زهرة الفيكتوريا التى تذهب مع تيار المياه، ولا تعود. وبكت فيكى، ومعها أمها لفرط الفرح، وقالت فيكي: إننى الآن أعرف، قبل ذلك لم أكن أدرى شيئًا، وكانت حياتى الماضية بالنسبة لى مثل فجوة سوداء لا قرار لها. كما أننى الآن فخور باسمى، فهو جميل ذو معنى. وفى الأسابيع المقبلة راحت فيكى تتعلم الكثير عن الخضراوات، والنباتات والورود والفاكهة، كذلك عن الماعز، حتى إنها تعلمت كيف تقوم بعمل شربة من الخضار والمربات بأنواعها. كما أنها عرفت بداية حياتها، وتعلمت أيضًا كيف تحب الآخرين. وعندما انتهت العطلة، ووقفت فيكى على محطة القطار، محملة بحقيبتين كبيرتين مليئتين بخيرات الزرع من خضراوات وفواكه، قالت فيكى لأمها: هل تسمحين لى بقضاء العطلة المقبلة عندك يا أمي؟ فرحت الأم بهذه الجملة؛ لأنها كانت تتمنى أن تسمعها من ابنتها.

تمت

٣٤ـ ذو الشفاه المرتعشة

كان سيمون الصغير، كلما بكى ارتعشت شفتاه وبالأخص شفته السفلى، وكان والداه وأخوته، يضحكون عليه كلما رأوه يبكى. أما سيمون، فقد كان يضيق بذلك ذرعا، ويشتد بكاؤه، فقال له أخوه: وماذا عسانا أن نفعل؟ كلما رأيناك تبكى، هل نبكى معك؟ إذن فلن نكف عن البكاء. وفى الحقيقة، فإن سيمون كان محقًا فى بكائه، وذلك لأن والده قد ترك المنزل ولم يعد، ثم إن والدته قد تزوجت برجل آخر، قد أحضر معه أيضًا طفلين كبيرين إلى منزله. كما أن أمه قد أنجبت طفلاً آخر، وبهذا صار سيمون لا هو بالكبير ولا هو بالصغير، بل الوسط.

وأصبح المنزل صغيرًا وضيقًا بكل هؤلاء الأطفال. وذات يوم حضر الأب الجديد إلى المنزل، وقد أحضر معه أرنبًا أبيض وجميلاً، ثم وضع الأرنب على السجادة فى المنزل، وتجمع الأطفال حول الأرنب، وراحوا يتساءلون: لمن اشتريت هذا الأرنب يا أبي؟ هل هو لنا جميعًا؟ ولكن الأب قال: هذا الأرنب سوف يأخذه من هو أكثر منكم شبهًا به. وجلس الأرنب، والأطفال حوله، ينظر بعينين واسعتين، يرتعش أنفه من شدة الخوف. وراح الأطفال يتغامزون لأنهم كانوا يعلمون أن سيمون هو أكثرهم شبهًا بالأرنب.

ثم قال الأب: لقد كنت ذات مرة فى بورما، وسمعت هناك قصة عن الأرنب، ولماذا يرتعش أنفه دائمًا؟ قال الأطفال: احكها لنا يا أبى، احكها لنا. لقد كان الأطفال يعلمون أن الأب دائمًا ما كانت لديه حكايات طريفة. وبدأ الأب حكايته بقوله: كان فى الغابة أرنب أبيض وجميل، وكان فى الغابة نفسها ضفدع صغير وقبيح، وكان الضفدع يغار من الأرنب لجماله ولونه الأبيض. وذات يوم، بينما الأرنب يمشى فى الغابة، اختبأ الضفدع خلف حجر، وقفز قفزة مفاجئة أمام الأرنب، صارخًا فى وجهه، كواك. ارتجف الأرنب وقفز عاليًا، وسقط فى بطن قَرْعَة كبيرة، فتدحرجت واصطدمت بطائر كان واقفًا، فارتجف الطائر، وفر هاربًا فوق فرع شجرة جوزهند، فانكسر الفرع، وسقط فوق خنزير برى كانت فى فمه "عجورة" يقضمها، فسقطت "العجورة" من فمه وتدحرجت، ساقطة فى المياه. وبداخل المياه، كان يسكن تنين كبير وشرير، وكان آنذاك قد استيقظ من نومه مفزوعا. وأمسك التنين بالعجورة مغتاظًا، وأراد معاقبتها، فصاحت العجورة قائلة: أنا لست مذنبة، إن الخنزير البرى هو الذى ألقانى من فمه عليك. وقفز التنين فوق الخنزير البرى وأراد معاقبته.

عند ذلك قال الخنزير البرى مدافعًا عن نفسه: أنا لست مذنبًا، إن شجرة جوز الهند هى التى أفزعتنى. ثم إن شجرة جوز الهند، ألقت بالذنب على الطائر الذى كسر فرعها. والطائر ألقى بالذنب على القرع، والقرع ألقى بالذنب على الأرنب الأبيض. عند ذلك صاح التنين فى الأرنب الأبيض مغتاظًا وقال له: الآن سوف أفترسك. ولكن

الأرنب الصغير لم يستطع الحديث من شدة الرعب وراح أنفه يرتعد. ونظر إليه التنين، وهو يرتعد لا يستطيع الحديث، وأشفق عليه، وراح يضحك من شكله الظريف، وقال له: اذهب الآن، فأنا لن آكلك.

ورجع التنين إلى المياه، وراح الأرنب من شدة فرحته بالنجاة يرتعد أنفه مرة أخرى، وفرح الضفدع أيضا لأن الأرنب لم يلق عليه بالذنب. ومنذ ذلك الحين أصبح الأرنب يطلق عليه اسم "ذى الأنف المرتعش". وأصبح كل أولاده وأحفاده من الأرانب الصغيرة يطلق عليها اسم ذوى الأنوف المرتعشة. حمل سيمون الأرنب الأبيض على ذراعيه، ولاحظ أن فروته ناعمة ودافئة. عند ذلك قال الأخ الأكبر، ممازحًا: ها أنا التنين المفترس فارتعش الأرنب، وكمش ملتصقًا بصدر سيمون من الخوف. فضحك بقية الأطفال، وسيمون كان سعيدًا بهذا الأرنب الأبيض الجميل، الذى له تاريخ وقصة ظريفة. وراح سيمون وإخوته يفكرون فى اسم، يطلقونه على الأرنب!!

تمت

٣٥ـ خيوط الحياة

لقد كان إلزى وأورس فى حالة مزاجية سيئة هذا الصباح، فلم يعد يعجبهما أى شيء. ففى هذا الصباح انتقدا كل شيء، حتى إن الإفطار الذى أعدته لهما الجدة كورن فليكس، كان سيئًا، واللبن كان ساخنًا زيادة على حاجتهما، والعصير كان طعمه حامضًا، والخبز الأسمر لم يستطعماه على الإفطار، والمربى التى طبختها لهم الجدة لم تعجبهما، واضطرت الجدة إلى وضع الإفطار مرة أخرى فى الثلاجة كما هو، حيث إنهما لم يقرباه.

وعندما رن جرس التليفون، قفز الطفلان جريًا إلى سماعة التليفون، كل منهما يريد أن يرد على التليفون، حتى إنهما وصلا إلى السماعة فى وقت واحد، وعلى الطرف الآخر من التليفون لم تكن سوى جارتهم التى أرادت أن تستلف بعض البيض من الجدة. إلزى لم ترد أن تذهب بالبيض إلى الجارة، وكذلك أروس. ولم يكن أروس يدرى ماذا يفعل فى يومه. إنه ذو مزاج سيئ اليوم.

راحت إلزى تمضغ فى ياقة بلوزتها، وتنظر من النافذة إلى الخارج، إنها تمطر بشدة. أما أروس، فراح يقرقط فى أظافر أصابعه،

وينظر خارج النافذة يراقب المطر. ثم رن جرس التليفون، ولم يذهب أحد من الأطفال هذه المرة إلى التليفون، حتى ذهبت الجدة إلى التليفون، ووضعت السماعة على أذنها، ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة، بينما أروس يراقب الموقف، وهو قلق جدًا حتى إنه يكاد يتقيأ من التوتر.

ثم نطقت الجدة، وقالت: نعم، إلزى بخير، ثم أعطت أروس السماعة، حيث سمع صوت أمه على الطرف الآخر، وفرح أورس لسماعه صوت أمه، ولكنه اغتاظ أيضًا لعدم قدرته على سماع صوتها بوضوح. ثم جاء الدور على إلزى، كى تتحدث فى التليفون. عند ذلك استمعت إلزى إلى والدتها للحظة، حتى فرغت الأم من حديثها. عند ذلك، سألت إلزى أمها قائلة: والأب لن يأتى إلى هنا ثانية؟ ثم استمعت إلزى للحظة، ولكنها لم تتكلم بعد ذلك، حيث إنها وضعت السماعة، ولم تنطق بكلمة، بل وضعت ذراعها فوق كتف أخيها الأصغر، وراحا ينظران خارج النافذة يراقبان المطر، ولكن دون حديث.

الآن ذهبت الجدة بنفسها، كى تعطى البيض إلى الجارة، ثم تذهب إلى "السوبرماركت" كى تشترى حاجيات البيت، حيث رفض الطفلان الذهاب معها. ثم عادت الجدة من الخارج، والطفلان واقفان فى أماكنهما بلا حراك. أحضرت الجدة مشترياتها إلى المطبخ، وجاءت إلى حيث الطفلين يقفان، وفى يدها كارورة من الصوف وثلاثة مغازل

سميكة فى حجم الإصبع، وقالت الجدة: الآن سوف نغزل. فأجابت إلزى قائلة: ولكننا يا جدتى لا نستطيع الغزل.

أجابت الجدة: من لا يعرف، لا بد له من أن يتعلم، وأعطت كل طفل منهما مغزلاً وصوفا، ولم تنتظر إجابة الطفلين. عند ذلك اختارت إلزى الخيط الأحمر، واختار أورس الخيط الأخضر، وراحت الجدة تعلمهما كيف يغزلان من أجل الشتاء، تمامًا مثلما يدخر نقار الخشب طعامه للبيات الشتوى. لكما أن تتخيلا أن أصابعكما تمامًا مثل فرع الشجرة، والتى يدخل من بينها نقار الخشب، ويخبئ بداخلها الطعام للشتاء.

كذلك المغزل بالخيط، لا بد أن يمر من بين أصابعكما مثل هذا الحيوان. وهكذا راحوا، ثلاثتهم، يغزلون حتى سألت إلزى: ماذا نريد فى الواقع أن نغزل؟ قال أورس: إن ذلك ليس بمهم، المهم أن الغزل مسل وممتع. أجابت الجدة بقولها: لا بل إننا نغزل شيئا مهمًا جدًا ألا وهو "خيط الحياة". هذه الجملة الكبيرة لم يفهمها الطفلان بالطبع. ثم أردفت الجدة تحكى لحفيديها: "عندما كنت أنا طفلة صغيرة، كنت أعتقد دائمًا أن الأطفال سيظلون أطفالاً إلى الأبد، والكبار، وهم الآباء، سيظلون كبارًا إلى الأبد. وكنت أعتقد أن الوالدين هما عمودان يستقر عليهما سقف البيت. تحت هذا السقف، نستطيع نحن الأطفال، أن نلهو ونلعب، ثم قالت إلزى: ولكن يا جدتى، ماذا عندما ينكسر أحد هذين العمودين؟ وامتلأت عيناها بالدموع. ونظر أورس أخوها الأصغر،

إليها، وهو حزين، وقبل أن يبدأ هو الآخر فى البكاء، قالت جدته بسرعة: لا، إن البشر ليسوا مثل هذه الأعمدة التى تقصدونها. إن البشر دائمو الحركة، مرة هنا ومرة هناك تمامًا مثل الأنهار.

والإنسان يبدأ حياته صغيرا جدًا ثم ينمو رويدًا رويدًا، تمامًا مثل أمكما؛ لقد كانت صغيرة جدًا أصغر منكما، نعم فهى ابنتى، وأنا أعرفها جيدًا. ثم سأل أورس جدته ببراءة الأطفال المعتادة: "ولكن يا جدتى كيف لها أن تصير أمنا، وهى صغيرة هكذا كما تقولين؟". فأجابت الجدة بقولها: "يا أورس إن أمك عندما كانت صغيرة هكذا، لم تكن أمك، بل كانت فقط ابنتى".

ثم راحت تكبر وتنمو، حتى إنها ذات يوم تقابلت مع أبيكم، والذى كان بدوره أيضًا طفلاً صغيرًا ونما وكبر. ثم قالت إلزى: ثم إنهما أنجبانا نحن، ونحن الآن ننمو، ونكبر وأكمل أورس بعد أن أدرك مغزى ما تقوله جدته: وها نحن صرنا أكبر مما كانت أمنا. ثم قالت الجدة: ولهذا، فإننا نغزل قطعة من الثوب، كى ندرك مغزى كلمة "خيط الحياة". وأكملت إلزي: وتعنى هنا يا جدتى، بأننا سوف نقف فى وقت ما على أرض صلبة، مثل الأرض، التى يسير عليها ماء النهر. نعم، إن إلزى تدرك الأشياء بصورة أسرع من أورس، الذى يدرك الأشياء ببطء أكثر من أخته، وهذا كان يضايقه، ولكنه كان يدرك أيضًا أنها أخته الكبرى، وأنها ستبقى كذلك. إن كل هذا له علاقة بخيط الغزل الرفيع، الذى له بداية ونهاية.

حتى وقت الغداء، كان كل منهما قد انتهى من غزل خيط الحياة كما سمته جدتهما. وعلى الغداء أعدت الجدة فطيرًا بالخضار، وأكلاه دون أن يعترضا على أى شيء. بعد الغداء، طلبت منهما الجدة أن يغزل كل منهما خيط حياة جديدًا للأبوين. فقال الطفلان: سوف نغزل خيط حياة لأمنا باللون الأزرق، أما أبونا، فلن نغزل له خيط حياة، حيث إنه تركنا، ورحل دون أن يفكر فينا.

ولكن الجدة أصرت على أن يغزل الطفلان خيط حياة للأب أيضًا، وقالت: لولا أبوك ما كنت أنت موجودًا فى الحياة. ولما سأل أورس لماذا؟ أجابته أخته عن هذا السؤال، وأفهمته ذلك. عندئذ غزل أورس خيط حياة لأبيه بلون أصفر. وقال أورس لجدته: إننى أفتقده، ولا أدرى إن كان أيضًا يفتقدني؟ قالت الجدة: إن والديكما يمران بوقت صعب وعصيب، وعليهما أن يتوخيا الحذر، حتى لا يفقدا نفسيهما فى هذه الظروف العصيبة.

ثم قالت إلزى: يا جدتى، لقد كنت أعتقد دومًا أن الأطفال فقط هم الذين يفتقدون آباءهم، فهل يفتقد أحد الآباء الطرف الآخر أيضًا؟ فراحت الجدة تشرح لها ما كانت تقصده بقولها، وأفهمتها أن الآباء يقوم كل منهم بتقديم تنازلات للطرف الآخر، فى وقت ما، ومكان ما، دون أن يكون أحد الطرفين راغبًا فيها. فعلى سبيل المثال أن تقوم والدتك بالسب والشتم ضد أبيك، وذلك لأن البيت ليست به نقود، بالرغم من أنها فى الواقع لم تكن تريد أن تسب أو تشتم، وليس فى

طبعها السب أو الشتم. ثم قالت الجدة: "أعتقد الآن أن نقار الخشب قد قام بتخزين طعام يكفيه طوال الشتاء المقبل، وذلك عندما لاحظت أن الطفلين قد قاما بغزل الكثير من الصوف الأزرق، وكذلك الصوف الأصفر.

وراح الطفلان يدخلان هذه الخيوط بعضها مع البعض الآخر. لقد وضعت الجدة حجرًا ملونًا فى المكان الذى ولدت فيه الأم، أى ابنتها، ثم حجرًا آخر فى المكان الذى ولد فيه الأب، وراحت خيوط الغزل تتحرك وتغزل تجاه الآخر، حتى ربطت بين خيط الأب وخيط الأم فى يوم، هو يوم الزفاف بين الأب والأم.

ثم أخذت بعد ذلك إلزى حجر كوارتز ورديًا، ووضعته فى مكان، تقصد به مكـــان ميـــلادها، وبهذا أصبحت هنا ثلاثة خيوط، تسير بجوار بعضها البعض. أما أورس، فقد أخذ حجرًا أخضر، يرمز به لمكان ميلاده، الذى كان فى إفريقيا. وأراد أورس أن يسير خيط حياته فى المنتصف، بين خيط حياة الأب والأم، ولاحظوا جميعًا أن ذلك قد سبب تغييرًا كبيرًا فى مسيرة حياة الأسرة، وذلك عندما أراد خيط حياة الأب التحرك للأمام، بينما خيط حياة الأم أراد الرجوع إلى ألمانيا.

وهنا نرى خيوط حياة الأطفال تتجه دومًا نحو خيط حياة الأم. إن هذا يعنى أن الأب لم يتركنا ويهرب، هكذا فكر أورس، وهو ينظر

إلى الخيوط أمامه. ثم نادت عليه أخته إلزى قائلة: "انظر هنا، وقامت بوضع قوقعة كبيرة فى منتصف الغرفة، وقالت له: هذه القوقعة، تمثل اليوم، فكيف لاتسير الأمور فى الغد؟ ثم أخذا خيوطًا الأزرق يمثل الأم، والأصفر يمثل الأب، والأحمر والأخضر يمثلان إلزى وأورس، وراحا يمرران خيوط الحياة يمينًا ويسارًا، وهما يضحكان، ويلعبان، وأدركا أنهما لن يدمرا إذا تحطم عمودا البيت، وأنهما سوف ينجوان دون أن يصيبهما أذى.

لقد مكث الطفلان ستة أسابيع عند جدتهما، قبل أن يجدا لهما بيتًا جديدًا، فكانا خلال هذه الأسابيع الستة دومًا منشغلين بلعبة خيوط الحياة التى أحباها وأجاداها. والجدة قامت بغزل خيط حياة جديد للجد، الذى هو الآن فى السماء منذ زمن بعيد. فى النهاية قال أورس لجدته: أرجوك يا جدتى أرسلى هذا الخيط الأصفر لأبى فى جنوب إفريقيا، مع خطاب منى. وقام أورس بتملية الخطاب لجدته، وشرح فى الخطاب مغزى خيط الحياة لأبيه، كما شرح له كيفية الغزل كما تعلمها من جدته، التى تعلمتها من نقار الخشب. وأضافت إلزى إلى الخطاب: أننا نود أن نزورك فى جنوب إفريقيا أم أن الخيط الأصفر، سيعود مسرعًا إلى ألمانيا؟ سعد الأب بهذا الخطاب، وبهذا الخيط الأصفر، كما سعد بأن الجدة ما زالت تذكره بخير، وتفكر فيه بصورة حسنة.

تمت

٣٦ـ ورقة بعد أخرى

كان هناك طفل معوق، يجلس دومًا على "كرسى" متحرك. كل صباح كانت الأم تدفع الكرسى أمامها، لكى تحضر الطفل إلى بلكونة المنزل، حيث ينظر إلى محطة القطار، يراقب حركة المارة والمسافرين، حتى تنتهى الأم من أعمال المنزل. ثم تدخله مرة أخرى إلى المنزل. ولكنها لاحظت أن الطفل أصبح عصبيًا حاد المزاج، حتى إنه راح يضرب الكرسى المتحرك بكلتا يديه، ويشد فى شعره، حتى اقتلع الكثير منه.

وعندما لم تجد الأم حلاً، اصطحبت الطفل وذهبت به إلى الطبيب، وأخبرته بما يفعله ابنها كل يوم. وقالت الأم: إنه يقطع شعره، وإذا منعته من ذلك، يقطع أوراق الزهور فى المنزل، حتى إن رأسه وزهريتين يبدوان متشابهين من كثرة ما قام بتقطيعه منهما.

عند ذلك قال الطبيب: إننى لا بد أن أقوم بعمل اختبار بسيط له: قال الطبيب للصبي: "ردد خلفى كل ما أقوله:- ثم قال الطبيب: الأوراق خضراء، وقال الصبى خلفه الجملة نفسها. ثم قال الطبيب الجملة ذاتها أربـــع مرات، والصبى يردد خلفه أيضًا أربع مرات. ثم يسأل الطبيب: ما لون الأوراق؟ ويجيب الصبي: الأوراق لونها أخضر، ولكن الطبيب يقول له لا بد أن تكرر فقط خلفى، ما أقوله ولا تجيب.

ثم سأله الطبيب: لماذا أنت حانق هكذا، وتقطع شعرك وأوراق الــزهور أيضًا؟ فأجاب الصبى: لأن كل شيء حولي ممل، وكل يوم لا بد أن أفعل الشيء نفسه، وأن أرى الشيء نفسه، حيث يأتى كل يوم القطار، ولا بد لى أن أشاهد كل يوم المسافرين، الذين يصعدون فى القطار، ويهبطون منه، كل يوم الشيء نفسه لا جــديد. وأمســك الطبيب بــذقنه، وهو يفكر، ثم قال بعد ذلك للأم: لا بد أن تأتيا لى مرة أخرى غدًا، سوف أراه وأسمعه ثانية، ولكن لا بد أن تعطيه كل يوم نصف كوب عصير برتقال ثلاث مرات. فى اليوم التالى ذهبت الأم بابنها إلى الطبيب الذى راحِ يسأل الصبى، أن يكمل له حديث البارحة، عما يراه فى المحطة. وأكمل الفتى قائلا: كان كلما ذهب القطار بالركاب، نزل الحمام إلى المحطة، وراح يلتقط ما سقط من الناس من فتات على رصيف المحطة، ثم يأتى خفير المحطة بكلبه، ويرفع الكلب رجله ويبول على الشجرة. ثم ينادى الخفير كلبه، ويختبئ به فى كشك الحراسة على المحطة.

ثم يمسح الطبيب بيده على شعر ذقنه الكثيف ويسأل مجددًا: وهل هذا يحدث كل يوم بالضبط؟ ولم يستطع الفتى أن يتذكر. لذلك قال الطبيب: إنه من المهم جدًا أن تراقب هذه الأجواء المحيطة بك جيدًا وتتذكرها جيدًا. أرجو أن تأتينى بعد أسبوع، وأنت تعرف جيدًا كل ما يدور حولك. ثم كتب الطبيب على روشتة الدواء للأم، عليها أن تعطيه

كل يوم نصف كوب من عصير التفاح مرتين فى اليوم، لمدة أسبوع. وابتسمت الأم، عندما رأت ذلك.

وراح الصبى يتابع باهتمام واجباته الجديدة؛ فراح يراقب الحمام على المحطة، كيف كان يتصارع على فتات الخبز. ثم جاء غراب كبير، واختطف قطعة الخبز من الحمام. ولاحظ أن الكلب يأتى من نهاية المحطة لكى يتبول على الشجرة، وقال الفتى لنفسه: إن هذا لشيء عجيب! وكأن الكلب لا يستطيع التبول دون أن تكون هناك شجرة يتبول عليها! وعندما تقابل للمرة الثالثة مع الطبيب، راح يقص عليه كل هذه الأشياء الجديدة، التى لاحظها فى جلوسه على البلكونة.

كما حكى للطبيب، كيف أن الكلب يعرف هذه الشجرة، عن طريق رائحتها، التى هى فى الأصل من بول الكلب. فى اليوم التالى، كانت هناك رياح شديدة، ولكن الفتى أصر على أن يخرج فى البلكونة، وجلس فى البلكونة، وبينما هو جالس والرياح تتحرك، سقطت فوق رأسه ورقة من الشجرة، التى يبول عليها الكلب كل يوم، وراح يتأمل الورقة، فوجدها صفراء، ولم تعد خضراء، كما كان يعتقد. ثم ألقى بنظرة إلى الشجرة، فرأى أن أوراقها قد غدت، ما بين صفراء وحمراء وبنية.

إن لون أوراق الشجرة، قد تغير، وهو لم يلاحظ هذا، كيف يحدث ذلك؟ ثم راح يراقب الناس الذين يصعدون فى القطار صباحًا،

ويعودون الظهيرة إلى المحطة، راكبين القطار نفسه. ولاحظ أن كل يوم فى الصباح يصعد خمسة أطفال القطار، ذاهبين إلى المدرسة، وفى الظهيرة يعودون معًا بالقطار نفسه، وذات صباح رأى أن الأطفال اليوم أربعة فقط، وليسوا خمسة.

إنه الآن يفكر وهو قلق، أين الطفل الخامس؟ لماذا لم يذهب اليوم إلى المدرسة مع بقية الأطفال؟ ثم يقول لنفسه: ربما يكون هذا الطفل الآن مصابًا بالجدري. ثم يقول: نعم إن هذا لشيء صعب، إنه الآن سوف تدهن أمه جسمه، بالمرهم وزيت كبد الحوت، مثل ما حدث معى! وبالرغم من أنه قد شفى منذ فترة طويلة من الجدرى، ولكنه راح يتحسس جسمه وكأنه يشعر مجددًا بهرش وأكلان فى جسمه. ثم فكر قائلاً: إن هذا الطفل سوف يشفى قريبًا ويعاود الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى مع إخوته.

ولم يغب الطفل طويلاً، إذ إنه فى أحد الأيام رأى الطفل، مع إخوته يصعد معهم القطار، وهو سعيد مبتسم ضاحك. لقد غدت الرياح فى الخارج قوية جدًا، حتى إنها أسقطت جميع الأوراق من على الشجرة. وبدت الشجرة من دون أوراق، مثل رأس الرجل الأصلع، وانتابه شعور بالخوف. ثم فكر، ربما تنبت الأوراق على الشجرة مرة أخرى، عندما يبول الكلب عليها.

وبدت أوراق الشجرة، وهى طائرة فى الهواء، وكأنها سرب من الطيور يطير فى الهواء. إنه قبل ذلك لم يكن يلاحظ كل هذه الأشياء حوله، الآن دخل الفتى بكرسيه المتحرك إلى غرفته، وفى يده الورقة الصفراء، وهو يفكر فى مخيلته فى لونى الأوراق: الأخضر فى الربيع، والأحمر فى الخريف. لقد كان يخيل إليه أنه يشم روائح هذه الأوراق. إنه كان يتخيل أنه يرى الغراب، الذى رآه مرة واحدة فقط. ثم يخيل إليه أنه يرى الطفل، الذى مرض، ثم أصبح معافى، وشفي. لقد استطاع أن يلاحظ كل شيء، من حوله، حتى أنه كان يستطيع عد الحمام، ومعرفة لون ريشه فى الوقت نفسه.

وعندما زار الطبيب، أخبره بكل هذه الأشياء، حتى إنه أخبره عن الورقة الصفراء، التى سقطت على رأسه، وتعلم منها فصول السنة، وتأثيراتها على الأشجار. فقال له الطبيب: إنك لا بد أن تراقب كل ورقة على حدة، واكتب عنها على حدة. قال الفتى: لا أستطيع الكتابة بيدى اليمنى. فعلمته الأم أن يكتب بيده اليسرى على الكمبيوتر، كل خواطره. حتى إنه فى موسم الشتاء هذا، أصبح كاتبًا بارعًا وراح يقول: "إن الناس لديهم حياة يعيشونها، أما أنا فلدى حياة مكتوبة"، وراح يكتب عن حياته، وعن حياة الآخرين، صفحة وراء الأخرى، مرة تكون الصفحة خضراء، وثانية صفراء، وأخرى حمراء.

تمت

٣٧ـ هل طيور الفلامنجو ليس لها سوى رجل واحدة؟

أن يقف طائر كبير فترة طويلة على ساق واحدة نحيلة، ليعتبر معجزة كبرى. ولكن هل تقف طيور الفلامنجو على ساق واحدة؛ لأنها لا تملك سوى ساق واحدة، أو لأسباب أخرى؟ إن تصرف هذا الطائر أثار حيرة إحدى الأميرات وشعبها، وتتمثل هذه الحكاية في ما يلى: فى أحد البلاد الجنوبية، كان يعيش ملك مع ابنته الصغيرة، كانت الابنة جميلة، ولكنها غريبة الأطوار؛ كل ما كانت تمتلكه أو تشتريه أو يهديه لها أحد، لا بد أن يكون لونه ورديًا.

ولأن الفتاة قد توفيت أمها، وهى صغيرة، فقد أعطى الملك أوامره أن تُنفذ وتُلبى كل رغبات الأميرة، مهما كانت. ولهذا حصلت الفتاة على ملابسها بلون وردى والموبيليا فى غرفة نومها بلون وردى، وفرش السرير والملايات أيضًا بلون وردى، كذلك جواربها بلون وردى، حتى معجون الأسنان والفرشاة، لا بد أن يكونا لونهما ورديًا. حتى طعامها المحبب، كان لونه ورديًا.

وعندما كان يسألها أحد، لماذا كل أشيائها لونها وردي؟ أجابت الفتاة الصغيرة: لأننى أحب الفلامنجو. إن والدتها قد أهدتها روبًا للصباح، مزينًا بريش الفلامنجو، وكانت ترتديه كل صباح بكل حب

واشتياق، وكان يحلو لها أن تمرغ وجهها فى هذا الروب، وبصفة خاصة فى ياقته، التى كانت من ريش الفلامنجو، الوردى اللون.

وكانت الفتاة دائمًا ما تبدو حزينة وحيدة، تنظر من خلال شرفتها على الحديقة، التى كان بها جزء مخصص، مزروعة فيه الورود. إن الفتاة كانت كلما أهدى لها أى شخص لعبة أو دمية ذات رجلين، سارعت ونزعت رجلاً من هذه الدمية، وعندما يسألها هذا أو ذاك، لماذا فعلت هذا؟ كانت تقول وهى محتدة: لأننى أحب الفلامنجو. فوق سريرها على الحائط هناك لوحة كبيرة وجميلة لمجموعة من طيور الفلامنجو، وهى تقف جميعًا على ساق واحدة وهى نيام.

وعندما كان الخدم يخبرون الملك عن تصرفات ابنته الصغيرة، كان دائمًا يجيب بأنها ما زالت صغيرة، وسوف تنسى كل هذا عندما تكبر. ولكن فى واقع الأمر، كان الملك دومًا مشغولاً بحروبه وحكومته، ولم يكن لديه وقت لكى ينشغل بابنته.

ذات أحد الأيام، زار أحد الملوك قصر ملكنا، وأراد ملكنا توطيد أواصر الصداقة معه.

وكان على الأميرة الصغيرة أن تأتى وتحيى الملك الضيف وزوجته، عندئذ قامت زوجة الملك الضيف، وأهدت الأميرة الصغيرة دمية قيّمة وثمينة من البورسلين، فما كان من الأميرة الصغيرة، سوى أنها تأملت هذه الدمية الثمينة، وفى لحظة واحدة انتزعت إحدى رجلى

الدمية الغالية، وألقت بها أمام عينى زوجة الملك الضيف، خلف عرش أبيها، وسقطت رجل الدمية على الأرض، متبعثرة ومتكسرة عشرات القطع. وأثار هذا التصرف من الأميرة الصغيرة، كل الحاضرين، وبصفة خاصة زوجة الملك، التى اشتاطت غضبًا وصاحت: لا بد أن ننصرف من هنا، وهبت واقفة وهى ثائرة، وانصرفت مع زوجها من قصر الملك.

عند ذلك راح الملك يفكر فى تصرف ابنته هذا. وجمع وزراءه وراح يستشيرهم، عما يفعل حيال ابنته؟ وقال أحد الوزراء: إن الأميرة رمز للشعب بأكمله، لا بد لها أن تكون قدوة وصورة جيدة. وقال وزير آخر: إنها ستكون كارثة فى المملكة، لو أن كل طفل راح يقلد الأميرة ويكسر رجل لعبته أو دميته، ويترك لها فقط رجلاً واحدة، مثل ما تفعل الأميرة. فقال الملك: هل أحبسها فى برج حتى لا ترى أحدًا ولا يراها أحد؟ ولكن رئيس الوزراء، الذى كان أحكمهم جميعًا قال للملك: "يا سيدى إنها مريضة وروحها تعانى"، ثم قال: إنه لا ينقصها أى شيء؛ كل رغباتها تجاب، وكل ما تتمناه تحصل عليه. فأجاب رئيس الوزراء: يا أيها الملك، إنه ينقصها شيء مهم جدًا وهو الأم، التى لا تعوض بالأشياء.

عند ذلك أجهش الملك بالبكاء؛ لأنه كان يحب زوجته فوق كل شيء. ثـم أجـاب الملك ثانية: أنا لن أتزوج بعد أمها ثانية، فإن حبها لا يزال فى قلبى، فوق كل امرأة. وقال أحد الوزراء: يا أيها الملك،

هناك على النهر تعيش سيدة عجوز حكيمة، ولها خبرات طويلة مع الحياة والبشر؛ دعنى أدعوها، كى تأتى إليكم فى القصر. عند ذلك أرسل الملك رسولاً إلى المرأة العجوز، المقيمة على النهر، يدعوها إلى قصر الملك. فأجابت العجوز، بأنها امراة مسنة، ولا تغادر منزلها، ومن يرد أن يغير شيئًا فى حياته، فعليه الذهاب إليها، إنها لا تذهب لأحد.

وتضايق الملك لهذه الإجابة، وصاح فى الوزراء والجنود: ألست أنا الملك هل هناك من يعصى لى أمرًا؟ وصاح بصوت عالٍ: ألقوا بهـــذه العجـــوز الخرقاء فى البرج. عند ذلك قال له رئيس الوزراء: لا يامولاى، إنها الوحيدة التى تتمتع بالحكمة فى هذه البلاد، وإن ماتت هذه المرأة، فلن يستطيع أحد مساعدتك.

عند ذلك أمر الملك بألا يقتلوها، وراح يفكر نهارًا بليلة، حتى هداه تفكيره أخيرًا، لأن يركب عربته، التى تجرها الخيول، وينزل بها على النهر، متجهًا نحو العجوز، مصطحبًا معه ابنته. فسألته الأميرة الصغيرة: إلى أين نحن ذاهبون؟ قال لها: إلى سيدة عجوز فى الغابة. وأثارت إجابته فضول الأميرة الصغيرة، حيث إنه لم يصطحبها معه إلى أى مكان قبل ذلك. استقبلتهما المرأة العجوز استقبالاً طيبًا وشكرتهما على الزيارة، والعناء الذى تكبداه لزيارتها، ثم سألت الملك عن حاجته، فأجاب الملك بصوت مهموم: "ابنتى لها أطوار غريبة، وعجيبة، فكيف لها أن ترث ملكى، فيما بعد، وهى بهذه الحالة من

الغرابة والعجب". عند ذلك طلبت المرأة العجوز منه، أن يجلس على صندوق يطل منه على الغابة من خلال النافذة، وأن يترك ابنته تتحدث مع المرأة العجوز، ولا يتدخل فى الحديث إطلاقًا.

ثم أعطت العجوز الأميرة الصغيرة أحجارًا عجيبة، وقواقع وريش طيور، كى تلعب الأميرة بها، وفى أثناء لعب الأميرة كانت العجوز توجه لها الأسئلة عن كل شىء فى حياتها. وراحت العجوز تعرف من الأميرة كل شىء عن اللون الوردى، وكذلك عن مخاوف الأميرة الصغيرة، وعن الفلامنجو وريشه. وراح الملك يسمع ويعرف الكثير عن ابنته، مما لم يكن يعرفه من ذى قبل. إنه الآن مستمع فقط، بعد أن كان يلقى الأوامر طوال الوقت، كما أدرك وشعر بأن ابنته تعيش وحيدة فى جنتها، معزولة عن الدنيا. وسمع الفتاة الصغيرة وهى تقول: "إن الفلامنجو الجميلة من أمى، ذات ساق واحدة، ولا أحب أن يكون للدمى أو اللعب الأخرى ساقان".

عندئذ سألت المرأة العجوز: هل رأيت فى حياتك فلامنجو حقيقية فى الطبيعة؟ أجابت الأميرة الصغيرة: لا لم أرها، فقط فى اللوحة التى أهدتها إلىّ أمى. عند ذلك قالت العجوز للأميرة الصغيرة وأبيها: الآن يجب عليكما أن تذهبا بضع خطوات إلى النهر، ثم تعودا إلىّ، حيث إن هناك الكثير من طيور الفلامنجو أرجوكما أن تتأملاها، ثم عودا إلىّ ثانية، وأخبرانى بما رأيتما.

وذهب الاثنان، وبعد بضع ساعات، عاد الملك مع ابنته الأميرة، وقد اتسخت ملابسها الحريرية بالطين، وراحت الأميرة تقول: إن الفلامنجو لها ساقان، وليست ساقًا واحدة، وإنها تخفى الساق الثانية فقط، عندما تريد النوم، وذلك حتى لا تبرد الساقان، ولكن عندما تريد السير، فهى تسير على ساقين، وتروح بمنقارها المعقوف، تبحث فى الماء عن طعامها، الذى يكون عادة من حيوانات المياه التى تفترسها. كما أن الفلامنجو ليست جميعها ذات لون وردى، بل إنها تكون أحيانًا حمراء أو بيضاء أو سوداء.

إنه لشيء جميل على النهر! أليس هذا حقيقة يا أبي؟ ضحك الملك وهو سعيد بهذه التجربة، وشكر المرأة العجوز بسخاء، وعاد إلى قصره مرة أخرى. هناك فى القصر، كان الوزراء ينتظرون الملك بفارغ الصبر، وراحوا يسألون: ماذا وصفت العجوز من دواء؟ هل منعت بعض الأشياء عن الأميرة؟ هل كان لها بعض النصائح؟ فأجاب الملك: إنها لم تنصح بشيء ولم تمنع شيئًا، ولم تأمر بشيء. ومنذ ذلك الحين، راح كل أسبوع يركب الحصان مع ابنته، يعلمها صيد السمك، والحيوانات البرية وركوب الخيل. كما كان يعلمها فنون الحكم أيضًا. وبهذا أصبح للأميرة أب، يعلمها كل شيء، ويحبها عوضًا عن الأم المفقودة.

وبهذا أقلعت الأميرة عن أفعالها القديمة، فلم تعد تنتزع سيقان الدمى، كما أنها ألقت بجميع الأشياء ذات اللون الوردى من غرفتها،

ولكنها احتفظت بالبلوزة الوردية التى أهدتها لها أمها، ولوحة الفلامنجو أيضًا، ولكنها كلما أرت هذه اللوحة لأحد من أصدقائها، قالت: ولكن الواقع يبدو مختلفًا عن هذه اللوحة تمامًا..

تمت

المؤلف فى سطور

تعمل السيدة ليندا فون كيزر لينك طبيبة متخصصة فى شئون الأسرة والطفل، كما أنها أم لسبعة أطفال. وقد كتبت العديد من كتب الأطفال والشباب الصغير. كما أنها تعمل منذ عدة سنوات بالتليفزيون.

الكتب التى صدرت لها عن دار نشر هيردر هى:

حكايات لأرواح الأطفال (١٩٩٥)

عندئذ أصبح الجو ساكنًا (١٩٩٧)

جذور جديدة لأناس صغار (١٩٩٨)

حكايات ضد الخوف (١٩٩٩)

حكايات عن الصداقة (٢٠٠١)

أجمل الحكايات لروح الأطفال (٢٠٠١)

كيف يستطيع المرء أن يدخل فى حوار مع الأطفال؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تعجز الكثيرين من الآباء والأمهات والمربين. لهذا فإن حكايات السيدة ليندا فون كيزر لينك ذات الحس

العالى، تساعدكم على كسب صداقة ومودة الأطفال وثقتهم. هذه الحكايات يمكن للمرء أن يقرأها للأطفال أو أن يقرأها الأطفال بأنفسهم، حيث يجد الطفل فيها مشاعره ومخاوفه وهمومه، كما يشعر الطفل أنه ليس وحده الذى تنتابه هذه المشاعر والمخاوف، بل هناك من يشاركه تلك الأحاسيس أيضًا. تلك الحكايات تهبه العزاء والشجاعة، كما تضحكه وتجعله يتعجب من كثير من المواقف أيضًا.

المترجم فى سطور:

أشرف نادى أحمد

- حاصل على ليسانس الآثار المصرية - جامعة جنوب الوادى.
- حاصل على دبلوم تاريخ الفنون - كلية الآثار - جامعة القاهرة.
- أنهى مرحلة الدراسات العليا باللغة الألمانية بالمركز الثقافى الألمانى بفرانكفورت.
- حاصل على دبلوم الأدب الألمانى من جامعة ماكسميليان - ميونخ - ألمانيا .
- دراسات عليا فى الآثار المصرية - كلية الآثار - جامعة القاهرة.
- كاتب أطفال ، ومترجم عن اللغة الألمانية.
- قام بأعمال الترجمة التحريرية والفورية لمؤتمر السكان العالمى عام ١٩٩٦ بالقاهرة
- قام بترجمة العديد من الكتب الأثرية والتاريخية لهيئة الكتاب، والمجلس الأعلى للثقافة ، والمركز القومى للترجمة.
- عضو نقابة المرشدين السياحيين ، واتحاد كتاب مصر.

التصحيح اللغوى : عـزت سـلامة
الإشـراف الفنى : حسـن كـامـل